



# مراجعات

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالتعاون مع «الرؤية»

جمادى الأولى 1442هـ - ديسمبر 2020

## الصفحة الأولى...

### هلال الحجري

من الشعراء الذين تأثروا بالثقافة العربية توماس بيلي ألدريتش Thomas Bailey Aldrich (1836-1907)، وهو شاعر وروائي وصحفي أمريكي مشهور. كان صديقا لوالته ويطمان. نشر ما لا يقل عن عشرين عملا بين الشعر والرواية. من أعماله الروائية المتصلة بالشرق والجزيرة العربية: ملكة سبأ (1877). له قصائد متنوعة متأثر فيها بالثقافة العربية، خاصة كتاب «ألف ليلة وليلة»... ومن هذه القصائد أترجم له هذا النص الذي يفوح بروائح «الليالي العربية»:

«استهلال»

حَسَانُ بنِ عَبْدِ،

جلس عند بوابة بغداد العاجية

وأخذ يَرْقُزُ في الشمس،

مثل أي عَفَقٍ يَرْقُزُ لنفسه،

وأربعة فتيان عرب سُمِرَ نحيلين

أنهوا لعبة قمارهم بنوى الخوخ، واقتربوا.

وإيمان خان، صديق الأرواح العطشى،

وبائع الماء الزلال، توقف عن مناداته،

ووضع قَرَبَه على البوابة،

وقد بدتْ غائرةٌ وشاحبةٌ مثل خَدْيِهِ.

ثم جاء خَصِيٌّ

يُدلي زَمَ الحلوى من رأسه،

ووقف كوثنيّ شَبَعٍ مقطَع الأوصال.

ثم اليهودي، وقد احمرَّتْ سَيُورُ نعله من غبار الصحراء،

جاء يضلَع متذللًا للحشود

كي يحظى بمكان للسمع.

وعلى مَقْرَبَةٍ منه أيضا

وقف صائغُ الجواهر متألِّقا مثل مَتَجَرِه.

ومتسولان ضيران، كل هَمَّهما

أن يَسْلُكا جميعَ الجِبَلِ دفعة واحدة،

جاءا يتعثران،

وقد استحوذتْ عليهما زقزقة حَسَان.

بل حتى الخليفة لو كان مارا هناك بموكبه،

لتوقفَ ليسمعَ مثلهم؛

فحَسَانُ قد طبقتْ شهرته أفاق الشرق.

من القاهرة بقصورها البيضاء إلى أصفهان البعيدة،

من مكة إلى دمشق، كان حَسَانُ العربي،

معروفا بقلبه النابض بالغناء.

كان يرددُ أغانيه البحارة على النيل،

وعذاري البدو،

وكانت تُردِّدُ أغانيته في مخيمات التتار،

لقد عشقه الجميع وكان لهم بمثابة بؤبؤ العين.

وعندما نصحه حكيمٌ كان بجانبه،

لم يردِّدْ عليه بغير الغناء.

وأنا، الغريب المتسكع في بغداد،

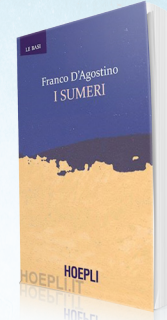
الإنجليزي، وشيخه العربي من خلال لحيته!

أدركت الملحمة الذهبية كما نمت،

وكتبتُها لإخوتي النصارى!



علم الاجتماع الفرنسي...  
يوهان هيلبرون



السومريون  
فرانكو داغوسطينو



طغيان الاستحقاق...  
ميخائيل ساندل



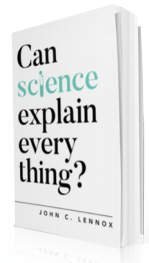
عشاق سامنتا  
عمر عبد السلام



كوفيد 91...  
نيكيل موكريي وأدريانو مانيو



العنصرية...  
نعيمة شرقاوي



هل يستطيع العلم أن يفسر كل شيء؟  
جون سي. لينكس



حكومة أكبر..  
مارك روبنسون



روح الثقة...  
روبرت براندوم



العبودية في الشرق والغرب  
بييين براندون، جونو جونز،  
نانسي جو، وآخرون

## إصدارات عالمية جديدة





## طغيان الاستحقاق ما الذي آل إليه الصالح العام؟ ميخائيل صاندل

مُحَمَّدُ الشَّيْخُ \*

لا مبدأ يبدو لنا أشد بدهاة من مبدأ الاستحقاق. كل حسب ما يستحق. حتى أضحي هذا المبدأ من فرط بديهيته لا يناقش. لكن ثمة من فلاسفة اليوم من بدأ يجد في هذا المبدأ أنه مبدأ شديد الاشتكال. ومثلما جرت عادة الفلاسفة على اشتكال المبادئ الكبرى. من «العقل» إلى «الكرامة»، ومن «الحق» إلى «العدالة». يبدو أن الدور قد أتى، مؤخراً، على مبدأ الاستحقاق نفسه؛ وذلك لا بمعنى إنكاره كل الإنكار، وإنما بمعنى الوقوف على حدوده. فلا شيء «مقدس» في الخطاب الفلسفي المعاصر الذي بات يستشكل كل المبادئ التي بني عليها الفكر البشري استشكالا عميقا، لا إنكارا لها وإنما توسعا فيها؛ بحيث بات باسم العقل نفسه يتم الوقوف عند تخومه، وباسم العدالة ذاتها يتم تبيان حدودها، وباسم الكرامة عينها يتم إظهار اشتكالها.

مفتتح الكتاب:

جانحة كورونا وهشاشة الوضع البشري

في مفتتح كتابه هذا . طغيان الاستحقاق. ما الذي آل إليه الصالح العام (٢٠٢٠). ينطلق الفيلسوف الأمريكي ميخائيل صاندل (١٩٥٣ - ) الذي كان قد اشتهر بمناقشته لأطروحة جون راولز في العدالة (الليبرالية وحدود العدالة (١٩٨٢)، وتأليفه في مبحث «الفلسفة العمومية» (الشقاق الأمريكي (١٩٩٨)، الفلسفة العمومية (٢٠٠٥)، وفي الأخلاقيات في زمن الهندسة الوراثية (٢٠٠٧)، وفي فلسفة المال في الحياة المعاصرة (ما الذي يمكن أن يشتريه المال: أخلاق حدود السوق (٢٠١٢))، وانفتاحه على الفلسفة الشرقية (اللقاء بالصين (٢٠١٨)). ينطلق من جانحة كورونا في الولايات المتحدة الأمريكية، وكيف أنه لم يتم الإعداد لها. ويوضح عن أسباب عدم الاستعداد هذا في القرار السياسي (استهانة ترامب بالمرض) وفي القرار الوجداني (تباطؤ مراكز مراقبة الداء والوقاية منه في توزيع المعدات الطبية). لكنه يضيف أيضاً أن البلد لم يكن مستعداً من الناحية الخلقية (الانقسامات الاقتصادية والثقافية والسياسية العميقة). وهي الحصاد المر لعقود من التفاوتات الاجتماعية ومن ردود الفعل عليها وقد تجلت في الأحقاد الدفينة التي جاءت بترامب إلى سدة الحكم. والحال أن أزمة الجائحة هي ثاني أفدح أزمة تصيب أمريكا بعد ١١ سبتمبر، وقد قادت إلى: التباعد الاجتماعي، التخلي عن الشغل والمكوث بالبيت، التهديد المحقق بكبار السن وبمحيطهم ..

ويستنتج صاندل النتائج: أخلاقياً ذكرتنا الجائحة بهشاشتنا، وبتعالقنا إزاء بعضنا البعض؛ مما أدى إلى تكثيف الدعوة إلى التضامن. لكن، يتساءل الفيلسوف، أي تضامن في زمن الفرقة؟ وجوابه: تضامن الخوف من العدوى الذي بات يتضمن التباعد الاجتماعي والانعزال الذاتي.

ويقف الفيلسوف على مفارقات هذا الوضع: التضامن بالتعازل. ثمة ضرب من الفراغ يعتور الشعار: «كلنا نركب في نفس المركب». إذ لا يتعلق بضرب من الجماعة المسجدة في ممارسة قائمة على إلزام متبادل وتضحية مشتركة، بل

والاصطفاء والجهد والاستعداد والاستحقاق.

دعوى الكتاب:

استشكال أمر الاستحقاق

على طريقة الفلاسفة الذين يتفلسفون وفق التقليد الأنجلوسكسوني، ينطلق المؤلف من «كائنة» حدثت في مارس ٢٠١٩. وكما أسس عالم الرياضيات والفيلسوف الإنجليزي وليام كليفورد مبحث «أخلاقيات الاعتقاد» (١٨٧٧) انطلاقاً من كائنة جنوح سفينة إيرلندية في عهده كانت رائحة إلى الولايات المتحدة الأمريكية واعتقد صاحبها اعتقاداً جازماً بأنها سوف تنتهي إلى شط النجاة مع حملها حمولة أكثر مما تقتدر عليه، كذلك سعى المؤلف إلى تأسيس مبحث «الفلسفة العمومية» انطلاقاً من هذه «الحادثة» التي تورطت فيها شخصيات أمريكية بارزة وهي تسعى لضمان الامتياز لأبنائها في التعليم تحت غطاء الاستحقاق. كانت فضيحة مدوية حول من يستحق أن يكون في الصفوف الأمامية، ولماذا يا ترى؟ أي مسألة: من يستحق ماذا؟ وقد طرحت هذه الفضيحة مسألة أخلاقيات القبول في الجامعات النخبوية الأمريكية بناءً على المال تبرعاً وهدية وإرشاء. ولئن كان الأصل في الاستحقاق أن يتطلب التولج من الباب الأمامي، وليس من «الباب الخلفي» وهو ما يعتبره أغلب الناس أمراً منصفاً؛ إذ يرون أنه على المقبولين أن يُقبلوا بناءً على استحقاقهم الخاص وليس على أساس ثروة آبائهم. فإن الأمر في واقع الحال أعقد من هذا بكثير. فالمال، تبرعاً، من شأنه أن يولج من الباب الأمامي كما من الباب الخلفي. ومن الصعب فصل المقال في ما يوجد بين معايير الاستحقاق والمزايا الاقتصادية من اتصال. والمشكلة يطرحها الفيلسوف على نحو جذري: أليس توجد شروط مسبقة تشترط الاستحقاق نفسه؛ فتجعله بلا استحقاق؟

خذ مثلاً الواقع التالي: لا ينشأ الناس متساوين قبل تباري الاستحقاق وأثنائه؛ إذ ثمة من جادت عليهم الظروف بتربية ثرة وتعليم موسيقي مبكر وبممارسة للقدرات الرياضية مساعدة؛ بما جعل استحقاقهم ضرباً من الإعداد المسبق؛ وبالتالي منحهم الامتياز، وأكسبهم التفوق. ثم تأتي بعد ذلك استحقاقات الدراسة التي لا يقدر على تأديتها اللهم إلا

طرح على المشهد في وقت ازدادت فيه الفوارق الاقتصادية والأحقاد الاجتماعية. ذلك أنه في وقت دخول الولايات المتحدة الأمريكية عهد الاقتصاد المعولم، مع ما جلبه من اغتناء النخبة وافتقار العدة، وجد البلد نفسه في حاجة إلى أن يستورد الكمامات الطبية والأدوية. وبهذا صار «الرابحون» من العولة هم أنفسهم دعاء حفظ المسافة عن «الخاسرين»، مؤكدين أنهم يستحقون نجاحاتهم. وبات الكل أمام العولة سواء: الرابحون يستحقون ربحهم، والخاسرون يستحقون خسارتهم. والحال أن هذا النمط من التفكير المبني على فكرة الاستحقاق: كل حسب استحقاقه. يجعل من العسير الاعتقاد بأننا كلنا في نفس المركب. كيف لا وهو يدعو الرابحين إلى اعتبار أن ربحهم ثمرة جهدهم، ويدفع الخاسرين إلى الشعور بأن أولئك الأعلون ينظرون إليهم بامتهان وحتى بشماتة؟ كما أنه يفسر لماذا أولئك الذين تركوا نهياً للعولة باتوا غاضبين وحائزين، ولماذا انقادوا إلى الشعبويين السلطويين الذين تمردوا ضد النخب ووعدا بإعادة إرساء الحدود القومية انتقاماً «للشعب الحقيقي»!

الحال أن أمر الجائحة لا يدعو فحسب إلى تجنيد الخبرة الطبية والعلمية، وإنما يحث أيضاً على تجديد النظر الأخلاقي والسياسي. فالامتزاج السام بين العُجب والحنق الذي جاء بترامب إلى السلطة لا يُمكن أن يكون مصدر التضامن الذي نحتاج إليه اليوم. ذلك أن أي أمل في تجديد الحياة الخلقية والمدنية رهين بفهم الروابط الاجتماعية ومآل احترام البعض للبعض.

مناسبة الكتاب وغايته

الغاية من هذا الكتاب محاولة تفسير لماذا حدث هذا الذي حدث واعتبار كيف يمكن أن نجد السبيل إلى ما يسميه المؤلف «سياسة الصالح العام». ذلك أنه في زمن قاد فيه الحنق ضد النخب الديمقراطية إلى الهاوية، فإن التساؤل حول الاستحقاق أضحي أمراً مستعجلاً على وجه الخصوص. وقد بتنا بحاجة إلى التساؤل عما إذا كان الحل لانشقاقاتنا السياسية هو العيش عيشاً على نحو أصدق وفق مبدأ الاستحقاق، أم السعي إلى الصالح العام في ما وراء الانتقاء



أولئك الذين يوجدون في الذروة أن يقاوموا الفكرة القائلة بأنهم يستحقون نجاحهم، وأولئك الذين يوجدون في الحضيض يستحقون ما لحق بهم... وكان أن فقد المجتمع مهارة التداول في الشؤون العامة أو حتى الإصغاء إلى بعض البعض.

شيء من تاريخ مفهوم الاستحقاق وتصور الصالح العام أصل الاستحقاق مبدأ ديني: بدأ الاستحقاق مساره بتعزيز فكرة أنه يمكننا، عن طريق الكدح والعبادة، أن نجعل فضل الرب يميل إلى جانبنا لكي يشملنا بإنعامه. ثم سرعان ما تدنوت هذه الفكرة؛ بحيث بات إيماننا طوع أيدينا: بذل الجهد. وصرنا أمام تصورين للصالح العام: التصور الاستهلاكي والتصور المدني. لئن كان الصالح العام يكمن فقط في مضاعفة رفاهية المستهلكين، فإن تحقيق المساواة في الوضع بات لا يهم في نهاية المطاف. ولئن كانت الديمقراطية مجرد ممارسة للاقتصاد بسبل أخرى، سبل فيها مزيد من تحقيق مصالحنا الشخصية وتفضيلاتنا، فإن مصيرها لا يمسى أنها مرتتنا إلى الروابط الأخلاقية بين المواطنين.

لكن، لئن كان لا يمكن حدوث الصالح العام اللهم إلا بالتداول بين المواطنين حول الأغراض والغايات المهمة في حياتنا المشتركة، فإن هذا الأمر لا يتطلب بالضرورة مساواة تامة، ولكنه يقتضي أن يلاقي المواطنون من مختلف سبل العيش بعضهم البعض في أماكن مشتركة وحول قضايا متبادلة. هو ذا طريق العناية بالصالح العام. إن القناعة الاستحقاقية بأن الناس يستحقون كل الغنى التي يمنحها السوق إلى مواهبهم يجعل مشروع التضامن مشروعاً مستحيلاً. علينا الإقرار بأنه، في ما يخص مجهودنا بما يلي: كلا؛ ما كنا صنّاع أنفسنا ولا كنا مكتفين بذواتنا، وإنما شأننا أننا نجد أنفسنا في مجتمع يقدر المواهب، وذلك كان حظاً سعيداً أصبنا منه وما كان استحقاقاً لنا. ومن شأن هذا الأمر أن يلهمنا شيئاً من التواضع: علينا ألا ننسى أن ما تحقق لنا كان إما بفضل الرب أو بصدفة الميلاد أو حتى بسر القدر... ومن شأن هذا التواضع أن يكون بداية طريق العدول عن أخلاق النجاح المتصلبة التي تقودنا إلى العزلة. وهو تواضع أمره أن يقودنا إلى ما وراء طغيان الاستحقاق نحو حياة عمومية جماعية أقل سخماً وأكثر سخاءً.

## • عنوان الكتاب: طغيان الاستحقاق

## • ما الذي آل إليه الصالح العام؟

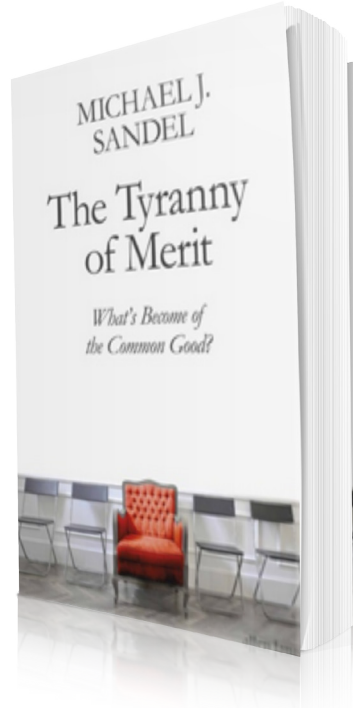
## • اسم المؤلف: ميخائيل صاندل

## • دار النشر: بينكويين

## • بلد النشر: إنجلترا

## • سنة النشر: 2020

\* أكاديمي مغربي



ب. وهل الراحون من العولة مسؤعون في اعتقادهم أنهم فازوا؛ وبالتالي يستحقون فوزهم، أم أن هذا الاستحقاق مجرد مَخيلة منهم؟ من نتائج الدعوى:

أ. مبدأ الاستحقاق والصالح العام:

كثيراً ما تم حساب أن المجتمع العادل إنما هو مجتمع الاستحقاق الذي يكون فيه لكل فرد حظ متكافئ لتطوير أقصى ما يمكن أن تقود إليه المهوبة والكد. لكن المؤلف يرى أن هذا التصور باطل: المساواة في الحظوظ أخلاقياً ضرورية للإنصاف من إجحاف، لكنها مبدأ تقويمي وليس مثلاً مناسباً للمجتمع الجيد. ذلك أننا إذ نقيّد من نجاح البعض، فإننا نتساءل كيف للأخريين أن يؤهّلوا للانفلات من ظروف تشدهم إلى الأدنى بالعوز والإجحاف. لكن المجتمع الجيد لا يمكن أن ينهض فحسب على وعد بالانفلات من الانحدار. ما أحوجنا إلى بديل عن المساواة في الفرص. مبدأ الاستحقاق. بمساواة واسعة في الوضع الذي يؤهل أولئك الذين لم يحققوا ثروة أو يكسبوا موقعا للعيش بكرامة؛ بحيث يُمكننا من تطوير مهاراتهم وممارستها في الشغل الذي من شأنه أن يكسبهم التقدير الاجتماعي، وبحيث يتقاسمون ثقافة تعليم منتشرة انتشاراً واسعاً، ويتداولون مع مواطنيهم في الشأن العام.

ب. الديمقراطية والتواضع:

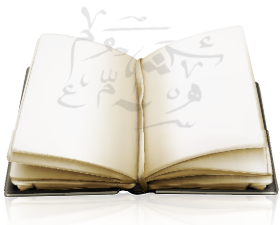
أدى عقدان من العولة إلى حدوث تفاوتات في المدخول والثروة هائلة إلى حد أنه تمخض عنها نمط عيش متباينان بأشدّ تباين يكون: نمط عيش النبلاء ونمط عيش الوضعاء اللذان باتا نادراً ما يلتقيان في ما بينهما البين في تزجية سحابة يومهما. وقد باتا يعيشان ويشغلان ويتبضعان ويلهيان في مكانين مختلفين على حالين متباينين، وصار أبناء كل واحد منهما يروحون إلى مدرستين مختلفتين. وإذ فعلت آلة الحظ الاستحقاقية فعلها، بات يستحيل على

الأثرياء...

هنا مكن المفارقة: يدعو التعليم العالي إلى تبني مبدأ الاستحقاق، لكنه لا يحقق عملياً سوى مبدأ الامتياز. وقد صار الاستحقاق أكثر حتى من مجرد مسألة اقتصادية (أداء مقابل التعليم)؛ إذ بات أولياء الطلبة يشترون الاستحقاق نفسه. فصي مجتمع التفاوت، يعتقد أهل المقامات المكنية أن نجاحهم مُسوّغ أخلاقياً. وفي مجتمع الاستحقاق يعني هذا أن على الراحين الاعتقاد بأنهم إنما فازوا بسبب موهبتهم الشخصية وكدهم الشديد. لكن الحقيقة أن هذا الاستحقاق، إن هو فُتس أمره، وُجد أنه هبة غش ومنة إرشاء من أوليائهم. ولو كان الآباء يراعون فعلاً تأهيل أبنائهم للعيش في ثراء، لاكتفوا بوهبهم ثروتهم؛ لكنهم يرغبون في شيء تكميلى. هو بالذات الطابع الاستحقاقى الذي تمنحه الكليات النخبوية. وهنا يبدو التعارض مع القبول المبني على الاستحقاق أمراً بديهياً: يفتخر المقبولون قبولاً مشروعاً بما أنجزوه فعلاً. لكن هذا الأمر غير صحيح بالتمام. فالاستحقاق هنا احتاج إلى أمر آخر غير كدهم: الامتياز القبلى. ألم يفيدوا من آباء وأساتذة سخروا أنفسهم في مساهمهم؟ وما القول في المواهب والهدايا التي ما كانت كلها من صنع أيديهم؟ وما القول في الحظ السعيد الذي حالفهم بأن ازدادوا في مجتمع ينمي المواهب ويكافئها؟ الحال أن أولئك الذين يفخرون بالتفوق في منافسة استحقاقية مدينون إلى منافسة تُغمض الأمر ولا توضحه. وبقدر ما يشتد الاستحقاق يستغرقنا الجهد المبذول حد الدهول عن الدين المستحق. وفق هذا الاعتبار، حتى نظام استحقاق منصف، نظام من غير غش أو إرشاء أو غدق امتياز على أهل الثروات، من شأنه أن يؤدي لا محالة إلى انطباع مغلوّط. انطباع أننا نحصل على ما حصلنا عليه بفضل جهدنا؛ وذلك حتى بات من اليسير أن نحسب أننا صنّاعة أنفسنا وأنها كفاية ذواتنا، وأمسى من العسير أن نتعلم شيئاً من التواضع والامتنان. والحال أنه من دون هذين الإحساسين، من الصعب العناية بالصالح العام. كانت كائنة مارس ٢٠١٩ مجرد مناسبة لطرح الحجج حول مبدأ الاستحقاق واستشكالها. والحال أن النقاشات حول من يستحق تعج بها السياسة الحديثة. وظاهر هذه النقاشات أنها نقاشات تدور على مبدأ الإنصاف: هل يحظى كل شخص حقاً بالفرصة عينها للتنافس حول خيارات وأوضاع اجتماعية مطلوبة؟ لكن اختلافاتنا حول الاستحقاق ما كانت فحسب اختلافات حول الإنصاف، وإنما هي أيضاً اختلافات حول ما الذي يحدد النجاح والإخفاق، وحول المواقف التي ينبغي للفائزين أن يتبنوها نحو أولئك الذين كانوا أقل نجاحاً منهم.

ولهذه الحيثية تتناول فصول هذا الكتاب القضيتين الرئيسيتين التاليتين:

أ. كيف تم استحضار معنى الاستحقاق في العقود الأخيرة على نحو أهدر كرامة الشغل وجعل أشخاصاً يشعرون أن النخب باتت تنظر إليهم نظرة استعلاء؟



## السومريون فرانكو داغوسطينو

عزالدين عناية \*

بات موضوع السومريين من المواضيع الكلاسيكية في أوساط المهتمين بالتاريخ العراقي القديم في الجامعات الغربية. هذا وقد غدت المدونة العالمية حول الحضارة السومرية متوفرة، بعد أن كانت نادرة، منذ أن تشكل فرع علمي خاص بالسومريات. ولو نظرنا إلى الأمر في مستوى اهتمام أقسام التاريخ القديم في الجامعات الإيطالية، نرى صدور العديد من الأبحاث والمقالات والمؤلفات المهمة على غرار مؤلف جوفاني بتيانو: «السومريون»، وهو عرض شامل لما يتعلق بالشعب والحضارة والثقافة، اعتمد فيه صاحبه التوثيق العلمي فضلا عن دعم قوله بالخرائط والرسوم والشروحات المستفيضة؛ وكذلك خلاصة بييترو ماندر في كتاب «السومريون» أيضا. هذا وقد سبق أن ترجمنا كتابا في الشأن نُشر لدى «مشروع كلمة» الإماراتي بعنوان: «أوروك.. أولى المدن على وجه البسيطة» للمؤرخ الإيطالي ماريو ليفراني. هذا ناهيك عن العديد من المؤلفات حول اللغة السومرية، وعن محاولات إيجاد ترابط لهذه اللغة مع لغات أخرى في المنطقة أو بعيدة عن المنطقة.

من هذا الباب، يأتي كتاب الفيلولوجي الإيطالي فرانكو داغوسطينو إضافة إلى قائمة المؤلفات حول الحضارة السومرية. فهو عبارة عن مقدمة عامة في حقل السومريات، وكما يتوجه إلى الطلاب والباحثين، فهو يخاطب أيضا جمهورا معنيا بالقضايا التاريخية، لكن بقلم متخصص مدقق يدرك ما يقول حتى وإن لم يوثق كلامه.

كونها من صنع الآلهة، فبعد أن تعب فم الآلهة من الحكمة تناولت لوحا من الطين وخطت عليه كلاما وهكذا نشأت اللغة. وكما ثبت لدى داغوسطينو، تعود الكتابة المسمارية التي أنشأها السومريون إلى منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، وقد ظهرت نصوصها الأولى في أوروك (الوركاء حاليا). ثم في الفصل الثاني يعيدنا الكاتب إلى سؤال نشأة الكتابة السومرية، التي ترافقت مع حاجة الجهاز الإداري المركزي في تصريف شؤون الدولة إلى التسجيل والتدوين، وهو بالأساس داع اقتصادي بغرض ضبط المعاملات على شارات (جيتونات) من الطين.

وفي الفصلين الثالث والرابع يتناول الكاتب نشأة المدينة/الدولة بمفهوم سياسي، وأشكال تطورها عبر مختلف الحقب التاريخية. ليتركز الحديث على مدينة أوروك، ثم على المدن الأخرى مثل أور ولاغش، حيث يتحدث الكاتب عن مفهوم «مهد الحضارة» الشائع على الألسن، وهو مفهوم حضاري تحقيقي على صلة بأوروك، بوصفها المدينة الأولى والمهد المبكر الذي تشكل فيه كيان الدولة، التي بدأ ظهورها منذ أواخر الألفية الرابعة قبل الميلاد. يحاول داغوسطينو في هذين الفصلين جرد العوامل التي دفعت إلى نشوء الدولة/المدينة أوروك، وإلى كيفية تنظيمها. كما يشرح معنى مهد الحضارة ودلالاته، بوصف المدينة هي النموذج الحضاري المبكر للدولة. ثم في الفصل الخامس يتناول الكاتب توسع الدولة الجغرافي والاقتصادي واقتترانه بانتهاء السومريين.

وفي الفصل السادس، يحاول الكاتب تناول الموضوع

رافق البحث عن حل لغز اللغة، من خلال طرح جملة من الأسئلة على غرار: إلى أي عائلة لغوية تنتمي السومرية؟ ومن أين يتحدّر السومريون؟ وفي أي فترة تاريخية حلوا ببلاد ما بين النهرين إن ثبت وفودهم؟ وهي أسئلة شغلت الدراسات السومرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقادت إلى تطور علم قائم الذات يُعرف بعلم السومريات واستقلاله نوعا ما عن مباحث التاريخ العراقي الأخرى.

ويروي الباحث داغوسطينو تفاصيل هذه الرحلة الشائكة لعلم السومريات، التي ترافقت مع البحث عن تحديد التحدرّ العرقي للسومريين، بوصفهم من الشعوب الطورانية كما تذهب بعض القراءات. في الأثناء أبرز الكاتب الدور الألماني في بناء النحو السومري، لاشتغال أغلب الباحثين الألمان على الجانب الفيلولوجي، وقد برز هذا الإسهام جليا مع آدم فالكشتاين (1906-1966) في مصنفه المعنون بـ «نحو غوديا ولاغش» (1949) وما لحقته من أعمال أخرى في الشأن. مع أن هناك، كما يوضح داغوسطينو، من ينفي وجود اللغة السومرية والشعب السومري، معتبرا أن ما يسمى باللغة السومرية هو شكل من أشكال الكتابة الرمزية ذات المنزح الديني التي تحوّل اللغة البابلية الآشورية إلى دلالات باطنية. وقد ذهب هذا المذهب جوزيف هاليفي (1827-1917) أحد كبار المستشرقين الفرنسيين العثمانيين، معتبرا أن السومرية مجرد كتابة مجازية أنشأها البابليون والآشوريون لا غير.

وفي سياق حديث الكاتب عن منشأ اللغة السومرية، يستعرض في الفصل الأول الرؤية القداسية للسومرية

فمن أغراض الكتاب -كما يشير المؤلف- تقديم عرض شامل ومتناسق، وفي الآن نفسه نظرة متأملة في المسار التاريخي الغني بالإنجازات التقنية والصياغات الذهنية التي قادت السومريين إلى حيازة رؤية مميّزة للطبيعة وللعالم ولأنفسهم أيضا. الأمر الذي خلف أثرا واضحا على التصورات الدينية والرؤى الإيديولوجية في عالم الشرق القديم، وليس في بلاد ما بين النهرين فحسب. فكما يُصرّح المؤلف: بعد أربعين سنة من الاشتغال في حقل السومريات حانت اللحظة لتقديم خلاصة عامة، تجمع شتات ما تناثر من أفكار ونتائج وتفسيرات بشأن الحضارة السومرية.

سنة 1879 كان المستشرق الفرنسي جيل أوبار (Jules Oppert) أول من اقترح كلمة سومر، للدلالة على الشعب واللسان اللذين عثر عليهما في مناطق بلاد الرافدين الشمالية في مقابل العنصر واللسان الساميين، والواقع أن كلمة «سومر» مستوحاة من اللغة البابلية اللاحقة. هذا ويُرجّح بروز السومريين في العراق في القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد، وهو موضوع تاريخي إشكالي: فهل السومريون وافدون على العراق أم ناشئون فيه؟ وأمام تشعب السؤال السومري يحاول داغوسطينو تركيز الاهتمام في الثقافة السومرية بدلا من الانسياق إلى متاهة تحدرّ الشعب السومري وأصوله العرقية، لكن مسألة اللسان تجذبه نحو قضايا العرق والأصل رغم نظوره من ذلك. فمنذ مطلع الكتاب يحاول المؤلف استعادة الجدل الدائر في أوساط المؤرخين المعنيين بالتاريخ الشرقي، حول ما عُرف بـ «المسألة السومرية»، وهو ما



الأمر الذي جعل الكتاب بمثابة الحكي المسترسل. على هذا النحو يبدو الكتاب وكأنه أُلّف على عجل، أو جرت لملته من محاضرات أستاذ، لم يراع فيه صاحبه شروط الكتابة البحثية الأكاديمية.

صحيح اعتمد المؤلف جملة من الجداول تعلقت أساسا بمسائل لغوية وبمراحل تاريخية لشخصيات سياسية، ولكنها لم تأت شاملة لتغطي حاجات متنوعة في الكتاب أو لإضافة معلومات جديدة. وفي واقع الأمر، لم نلمس في الكتاب محاولة لحوصلة آخر التطورات والخروج بنتائج بينة في المجال، وإنما هو مجرد مدخل عام في مبحث السومريات. حيث يحاول الكاتب أن يأتي بخلاصة عن الحضارة السومرية، غير أنها تأتي في بعض الأحيان مستعجلة ولا تفي بالغرض.

نُشير إلى أن المؤلف فرانكو داغوسطينو هو عالم آثار وفيلولوجي من مواليد (١٩٦٠)، يتركز اهتمامه على الحقبة السومرية، وهو من المتخصصين في الكتابة المسمارية التي تعود إلى ذلك العهد (الألفية الثالثة قبل الميلاد). نشر العديد من المقالات والدراسات العلمية في فيلولوجيا اللغات العراقية القديمة. كما يهتم بالرُّقم التي تعود إلى فترة إيبلا في سوريا. يتمحور مشروع فرانكو داغوسطينو بالأساس حول الاشتغال على لغات بلاد الرافدين في التاريخ القديم وأساسا على الكتابة المسمارية حيث يحاول استنتاج الألواح القديمة، وقد نشر في ذلك العديد من المقالات العلمية. وفق عبر مشوار أبحاثه في عرض العديد من الشذرات اللغوية والتاريخية المهمة بشأن الثقافة السومرية، وإن كانت لا ترتقي إلى مستوى المشروع المتكامل أو الطرح الشامل. يبقى داغوسطينو أقرب إلى الباحث الميداني المنشغل بالعمل على عين المكان وعلى اللقى الأثرية. هذا وقد نشر المؤلف كتابا بعنوان «غلامش: الإنسان الملك الكاتب» ٢٠١٧، كما نشر بالاشتراك مع آخرين كتابين: الأول بعنوان «لغة السومريين» والثاني بعنوان «لغة بابل» ٢٠١٦.

• **الكتاب: "السومريون".**

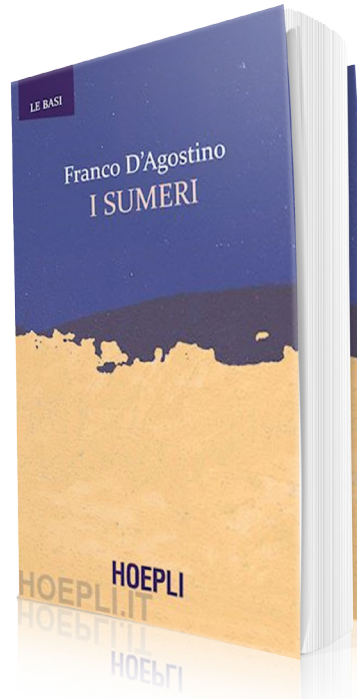
• **المؤلف: فرانكو داغوسطينو.**

• **الناشر: منشورات أورليكو هوبلي**

**(روما - إيطاليا)، 2020.**

• **عدد الصفحات: 176 صفحة.**

\* أكاديمي تونسي مقيم بإيطاليا



اللاحتين البابلية والآشورية، مبرزا أشكال الاستلهام التي حدثت في اللغة والدين والثقافة. كما تبقى الميزة الكبرى للسومريين، بحسب داغوسطينو، في التنظيم الإداري المحكم، وهو ما تجلى مبكرا في توظيف اللغة والأرشيفات للغرض.

وكما أردنا، يتعلّق الكتاب أساسا بتاريخ حضارة عراقية قديمة، تعود تحديدا إلى الفترة المتراوحة بين الألف الرابعة والألف الثالثة قبل الميلاد؛ لكن اعتماد الكاتب مؤلفات عربية في الشأن، أي المؤلفات ذات الصلة بالموضوع، فهو غائب ولا يرد ذكر في الكتاب لأي علم من أعلام التاريخ القديم ممن يكتبون بالعربية. فالملحوظ أن هناك غيابا في التواصل لدى المؤرخين وعلماء الآثار الإيطاليين ممن ينشغلون بالتاريخ العراقي القديم مع ما ينتجه زملأؤهم من العراقيين وغيرهم بالعربية. ومن هذا الجانب اعتمد فرانكو داغوسطينو بالأساس على الكتاب الغربيين.

ما من شك أن الكتاب يثقل على القارئ غير المعني بالتاريخ العراقي. ولا أقدر أن الكتاب في بعض من أقسامه يُعدّ واضحا بما فيه الكفاية، وهو يتطلّب إلماما بفيلولوجيا اللغات القديمة حتى تتسنى للقارئ متابعة الكاتب بيسر. ثمة حضور واسع لأسماء الأعلام والمصطلحات الأثرية على صلة بالحضارات العراقية القديمة، وهو ما يتطلّب توضيحا وشرحا، ولكن ذلك يأتي عرضا في الكتاب ولا يفي بالغرض. ومن هذا الباب لا نعتبر الكتاب يسير المتابعة على غير المطلق بدراية على التاريخ العراقي القديم. كما أن الكتاب لم يتضمن أي فهرس من الفهارس سوى فهرس المواد، وإن كانت الفهارس ضرورية في مثل هذه المؤلفات،

الكلاسيكي في الدراسات التاريخية الغربية، وهو موضوع الحياة اليومية في سومر بكافة تشعباتها، ثم في الفصل السابع والأخير، يتناول المؤلف ثلاثي الإنسان والآلهة والطبيعة، ليختتم كتابه بما يشبه الحديث عن فناء السومريين وبقاء أثرهم الثقافي والحضاري. فمع نهاية الألفية الثالثة قبل الميلاد غاب السومريون وتوارت اللغة السومرية عن مسرح التاريخ ولم يبق أثرهم سوى في المعابد.

وبوصف الموضوع يتعلّق بالتاريخ القديم وبفترة متقدمة من التاريخ العراقي، ونظرا لشح المعلومات عن تلك الحقبة سوى ما رشح من الأبحاث الأثرية أو الرُّقم، يحاول الكاتب في مؤلفه تقديم مدخل عام ييسر على الطلاب والباحثين الولوج إلى حقل الدراسات السومرية، يمكنهم من قراءة الألواح العائدة إلى تلك اللغة. جاء تركيز الكاتب بالأساس على الشروحات الفيلولوجية سواء تعلّق ذلك بأسماء المدن أو ببعض الشخصيات أو جملة من المفاهيم، ولكن الملاحظ في ذلك المنهج خلوه من اعتماد التهميش، وإن كان صاحبه يورد في ثنايا الشرح ذكرا لبعض المؤلفات والكتّاب. ومما يقرّه المؤلف في بحثه غياب لغة حية أو منقرضة من اللغات المعروفة على صلة بالسومرية. سواء كانت من اللغات الناشئة في المناطق الحضرية المحيطة، مثل اللغات التركية أو المغولية، أو من تلك اللغات البعيدة مثل اللغات الهندية الأوروبية أو الصينية. وبناء على ذلك تُعتبر السومرية لغة فريدة ومعزولة، والمرجّح والأقرب إلى الصواب كما تبين لداغوسطينو أنها تنتمي إلى حاضنة لغوية منقرضة.

والشيء الذي يشكل فريدة في كتاب داغوسطينو، مقارنة بغيره من المؤلفات، وهو تعرّضه المعمق لبنية اللغة السومرية، حيث يتناول قضايا الكتابة على الألواح ودواعي تطورها، ويقول بشأن ذلك: هي كتابة فقيرة من حيث الأدوات، لكنّها مقاومة لعوادي الزمن أكثر من غيرها من المواد التي بحوزتنا إلى اليوم. فمكتبة آشور بانيبال التي تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد، والتي تضمّ أهمّ مخطوطات العالم القديم، بقيت محفوظة إلى اليوم، في حين ضاعت محتويات مكتبة الإسكندرية التي تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد.

لا يُمكن الحديث في الكتاب عن طرح معمق للقضايا المعالجة أو لأوجه الآراء المختلفة في الحضارة السومرية، وإنما هو بمثابة التمهيد والإشارات لما يمكن أن يفيد الباحث والطالب. والخلاصة التي يخرج بها المؤلف في آخر الكتاب أن الحضارة السومرية لم تندثر وإنما تم استيعابها في الحضارتين



## علم الاجتماع الفرنسي: النشأة الاجتماعية لتقليد فرنسي

### يوهان هيلبرون

سعيد بوكرامي \*

إذا كان علم الاجتماع اختراعاً فرنسياً، بشهادة العديد من الباحثين في العالم، فيجب أيضاً أن ندرك أن الباحثين الفرنسيين لم يكونوا رواد هذا التخصص فقط، مثل أوغست كونت وإميل دوركهايم؛ بل ساهموا، من خلال جهودهم الفردية أو الجماعية، في إنتاج تقليد فكري ثري بموضوعاته الاجتماعية وتياراته المنهجية ونتائجها النظرية والتطبيقية، لم ينحصر في فرنسا وأقاليمها وإنما انتشر في باقي الجامعات العالمية، وترسخ في معظمها درساً أساسياً وأداة لا محيد عنها لفهم المجتمعات وصيرورة تحولاتها وتطوراتها وأزماتها.

التخصصية تم تأسيسها بالفعل وكان على علم الاجتماع أن يجد مكاناً له بينها، لإثبات فائدته وشرعيته. وشيئاً فشيئاً، كان عليه أن يبني موضوعاته الخاصة (الوقائع الاجتماعية، والعمل الاجتماعي، إلخ)، ومفاهيمه ويحدد أساليبه في البحث، ليس فقط في مجال العلوم عامة، ولكن في مجال العلوم الاجتماعية خاصة. وهنا نجد المكونات الأساسية لكيفية اشتغال «الحقل العلمي» كما تصورها بيير بورديو نتيجة تضالاته حول قضية الوضع والشرعية والاعتراف الاجتماعي.

بعد ذلك، ذكر يوهان هيلبرون عقبة مؤسسية تتمثل في أن إنشاء أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية في عام 1832، والتي فرضت هيمنتها على القضايا والمواضيع وفق «جدول أعمال» العلوم، على الأقل حتى ثورة 1848، التي كانت تهتم بمواضيع غير الاجتماعية. يستحضر المؤلف أيضاً سياق ما بعد الثورة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، أي سياق العلمنة (موضوع الفصل الأول)، واللحظات الحاسمة للجمهورية الثالثة، فضلاً عن التنافس بين التقاليد القومية الأخرى (ولا سيما تقاليد بريطانيا العظمى، مع هيربرت سبنسر ونزعته الاجتماعية التطورية) الذي طغت إلى حد ما على علم الاجتماع الفرنسي حيث بدأ بعض المتقدمين من السلف في الاشتغال عليها (مونتسكيو، كونت، توكفيل...).

في نهاية القرن التاسع عشر، عندما بدأ علم الاجتماع يفرض نفسه في فرنسا، كانت هناك ثلاث مدارس فكرية تخوض منافسة جادة، يجسدها ثلاثة علماء وهم: رينيه وورمز، وغابرييل تارد، وإميل دوركهايم. نحن نعلم الآن أن هذا الأخير، وهو من كان أقل شهرة من بينهم، لكنه حقق أرضية وشارك في تأسيس علم الاجتماع كنظام أكاديمي مستقل. لكن هيلبرون يؤكد أنه بدون عناد دوركهايم وطموحه، لربما طوى النسيان علم الاجتماع، كما حدث بالفعل مع أعمال وورمز وتارد، وهما مؤلفان لم يدرسا إلا

الفرنسي كتقليد وتخصص مستقل. كما يقدم إجابات عن الأسئلة التالية: ما هي السياقات، والفاعلون (الرواد)، والمجموعات، والشبكات، والمؤسسات، والنقاشات، والتمثيلات الاجتماعية، والأنشطة، والنضالات، والعمليات، والديناميات في العمل... التي جعلت من الممكن نشوء علم اجتماع فرنسي محض؟ ما هي الحالات الطارئة، والمكونات... التي جعلت من فرنسا مهداً لمعرفة جديدة تنتج منهجية محددة تمارس في جميع أنحاء العالم؟ هذا هو الغرض من «التحقيق الاجتماعي التاريخي» (ص 14) الذي يستخدمه المؤلف في هذا الكتاب. تتمثل الفكرة في العودة إلى قلب نشأة علم اجتماعي من بين العلوم الاجتماعية لإظهار أي مدى هو نتاج عملية بناء اجتماعي تاريخي، وبالتالي نتاج صناعة اجتماعية.

نقطة انطلاق المؤلف هي نوع من الألغاز والمفارقة: علم الاجتماع موجود كعلم اجتماعي، على الرغم من أن لا شيء، وفقاً ليوهان هيلبرون، يندرج بمثل هذه النتيجة. إذن، فإن من الممكن أن تكون هناك عدة عقبات منعت من أن يصبح تخصصاً جامعياً مستقلاً ومعترفاً به (الفصل الثاني، علم بعيد الاحتمال). ما هي العوقات والظواهر والظروف التي كان على أنصار علم الاجتماع محاربتها والتغلب عليها والالتفاف حولها؟ هذا التناقض هو ما يجعل الكتاب شديد الأصالة، لكن، قد يبدو الطرح أيضاً، في نظر بعض القراء غير المقتنعين بأطروحة المؤلف مجرد ضرب من التكهانات. لذلك دعونا نقدم حججه.

بداية وقبل كل شيء، يتذكر يوهان هيلبرون الوشاح الرصاصي الذي استخدمه ما يسمى بالعلوم الخالصة (الفيزياء وخاصة الرياضيات) والعلوم الطبيعية (خاصة علم الأحياء) الذي اعتمد لفترة طويلة في المجال العلمي على البنية الراسخة المهيمنة للفلسفة؛ الكثير من الأساليب التي من المفترض أن تشرح الواقع الاجتماعي من تلقاء نفسها ضمن الفضاء الاجتماعي والحدود

ولكن ما هي القواسم المشتركة بين علماء الاجتماع المتنوعين مثل ريموند أرون وبيير بورديو وبرونو لاتور أو لوك بولتانسكي، على سبيل المثال، الذين ينتمون إلى أجيال مختلفة، ويمثلون تيارات فكرية وأساليب عمل غاية في التميز؟ للدنو من تفاصيل الإجابات يقدم يوهان هيلبرون في كتابه الصادر حديثاً نظرة عامة وفريدة عن أحد التقاليد المعرفية الوطنية الأقدم والأكثر حيوية في علم الاجتماع. لذلك يسعى جاهداً لاستعادة ظروف نشأته وتطوره منذ بداياته، خصوصاً مع بداية القرن التاسع عشر، حتى توسعه في نهاية القرن العشرين مقدماً تفسيرات جديدة لكيفية قيام مفكرين مثل إميل دوركهايم ومجموعته من المتعاونين بإعادة تعريف التخصص وإبراز مساهمته في تجديد العلوم الإنسانية الأخرى، وبذلك يشكل كتاب هيلبرون دراسة اجتماعية رائدة ومنجزاً مرجعياً لتاريخ العلوم الاجتماعية. في الواقع يشكل الكتاب استمرارية لعمله حول تاريخ العلوم الاجتماعية الذي بدأ في الثمانينيات ثم استؤنف في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، هنا يقترح يوهان هيلبرون إلقاء نظرة مزدوجة على نشأة علم الاجتماع الفرنسي وإضفاء الطابع المؤسسي عليه وتحديد أسباب تمكنه من بناء تقليد فرنسي، ومنهجية لممارسة علم الاجتماع «على الطريقة الفرنسية». يشكل الكتاب أولاً وقبل كل شيء نظرة خارجية لعالم اجتماع معروف، ولد في هولندا وتلقى تعليمه في الفلسفة وعلم الاجتماع في جامعة أمستردام في السبعينيات. ومن ثم فإن نظرة الباحث إلى العلوم الاجتماعية التي درّسها في فرنسا ما بين 1979 و1980 ومساهماته كمدير أبحاث في المركز الأوروبي لعلم الاجتماع والعلوم السياسية. وبهذه الصفة، شارك يوهان هيلبرون بشكل مباشر ضمن فريق بيير بورديو، وكذلك في إنشاء التقليد الاجتماعي الفرنسي. من خلال الفصول السبعة التي يتألف منها الكتاب، يوضح المؤلف الأسس التي ساهمت في تكوين علم الاجتماع



من الباحثين والجامعيين والمهتمين. كما يستهدف الكتاب أيضاً تقديم رؤية شاملة لكيفية بناء علم الاجتماع في القارة القديمة.

في هذا الكتاب، يقوم المؤلف بتجميع وتحديث الأعمال المعروفة سلفاً في فرنسا، ولكن غالباً ما يتم تجاهلها في الجامعات المهتمة بالمعرفة الأنجلوساكسونية، خصوصاً في حقل علم الاجتماع. كما يقدم أيضاً تجميعاً لأعمال سابقة للمؤلف حول هذه الأسئلة بعينها، وهو كذلك تتويج لمجهودات الكاتب الأكاديمية التي دامت ما يقارب الأربعين عاماً من التفكير في علم الاجتماع ورواده ونشأته. من الواضح أن هذا العمل ليس مجرد دراسة تأملية إضافية حول تاريخ علم الاجتماع الفرنسي، فقد كنا نأمل أن تكون الوسائل التجريبية (أعمال الأرشيف، والمقابلات، والملاحظات، إلخ) التي استخدمها المؤلف أكثر وضوحاً وتفسيراً، لأنها تستحق اشتغالا أفضل من بضع فقرات موجزة. كما نجد في الكتاب مقابلات مع عدد كبير من المثقفين الذين شاركوا، بشكل أو بآخر، في بناء علم الاجتماع في أوقات مختلفة. ولكن ماهي معايير هذا الاختيار؟ لماذا لم تظهر في القائمة، على سبيل المثال، شخصيات رئيسية مثل ريمون بودون، وجان كلود شامبيردون، وهنري ميندرا، وجان كلود باسرون، وألان تورين؟ استحضار هؤلاء العلماء كان سيوفر ميزة إضافية من خلال توضيح مساهماتهم بشكل أعمق، ورغم كل ذلك، فإن الكتاب ثري وموسوعي، يثمن علم الاجتماع ويمنحه مكانة معرفية يستحقها، لأن إعادة الاعتبار لعلم الاجتماع داخل الجامعة وخارجها سيمكنا من إمطة اللثام عن مشاكل اجتماعية عديدة وعويصة، يمكن بسهولة التعرف عليها وفهمها وتفكيكها من أماكن الخلل فيها لمعالجتها وتمكين المجتمعات من السير على طرق سليمة نحو التقدم والرفاه والاستقرار.



ومنهجية في التحليل، كما وضح كيف يمكن أن يساعد في فهم التحولات الاجتماعية في العمل، حيث تفشل العلوم الأخرى في القيام بذلك. بالإضافة إلى ذلك، عمل على ترسيخه في التعليم العالي. نجحت هذه الاستراتيجية المؤسسية لأن دوركهيم عرف كيف يحيط نفسه بفريق شاب من الأكاديميين المنفتحين على هذا العلم الجديد، وبالإضافة إلى إحيائه علم الاجتماع من خلال المجلة التي أسسها دوركهيم (العام السوسولوجي) التي كانت تعتبر سلاحاً في خدمة القضية الاجتماعية، كما ساهمت هذه المجلة الرائدة في نشر الدروس الأولى في علم الاجتماع (أول درس في علم الاجتماع، وفقاً للمؤلف، كان الدرس الذي قدمه دوركهيم في بورديو عام 1887). ومع ذلك، فإن «طلّاع القدامى» من علماء الاجتماع (نذكر على سبيل المثال كلا من ألفريد إسبيناس وفويي) الذين يفضلون اتباع منهج وورمز. كان «المشروع الجماعي» الذي قاده دوركهيم و«مدرسته» صادماً وغامضاً بدرجة كافية، بحيث سيدخل علم الاجتماع مرحلة كسوف طويل (بين الحربين العالميتين) ولن ينبعث من رماده إلا في الخمسينيات، مُستنهضاً بشخصيات جديدة مثل غورفيتش وفريدمان وأرون ثم كروزيه ورينو وتوران وبورديو...الذين يعتبرون ورثة الأعمال التي أنجزها دوركهيم.

في الفصل السابع، يسلط يوهان هيلبرون، الضوء على الأسلوب الخاص لأربعة مؤلفين معاصرين مهمين وهم، ميشيل كروزيه وآلان توران وبيير بورديو وريمون بودون، لتوضيح أربعة طرق متناقضة لممارسة علم الاجتماع. يمكن اعتبار كتاب يوهان هيلبرون إثراء معرفياً ذكياً وعملاً توثيقياً جباراً، يشكل بلا ريب مساهمة مهمة حول تاريخ علم الاجتماع الفرنسي، سيثير اهتمام عدد كبير

قليلاً في الوقت الحاضر خصوصاً عندما تذكر خصومتها ومعارضتها لدوركهيم الشخص المعروف اليوم كمؤسس لعلم الاجتماع الفرنسي.

ثم يشير المؤلف إلى مفارقة أخرى: في الوقت الذي سمح فيه تطور التعليم الجامعي (1870) للتخصص الاجتماعي بالبروز، فإن الصراع بين المؤسسة والباحث كان على أشده، يقدم الكاتب دليلاً على تجاهل أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية لمساهمات أوغست كونت وكذلك مساهمات الأستاذ الجامعي إسبيناس، فويي كشخصيات انتقالية، لكن مع مجيء الشباب الطبيعيين من المرزبين الجدد في الفلسفة مثل: دوركهيم، تارد، غيو، ريتشارد... الذين ساهموا بشكل كبير في تنوع تطور علم الاجتماع، كما أنهم نقلوا البحث الاجتماعي إلى خارج الجامعة، إذ أصبح يحدث جزء كبير منه خارج التعليم العالي.

يستحضر يوهان هيلبرون أيضاً عناصر أخرى أدت إلى تأخير تأسيس علم الاجتماع في الحقل العلمي ومن بينها ندرة انتشار اللغة الفرنسية، إذ كانت لا تُقرأ إلا قليلاً خارج البلدان الناطقة بالفرنسية، وكذلك بعض السياقات الجغرافية والاجتماعية والسياسية أخرت انتشار علم يقترح الكشف عن الاختلافات الاجتماعية أسبابها ونتائجها. ومع ذلك، فقد نجح علم الاجتماع الفرنسي في أن يمنح نفسه مكانة رائدة بين العلوم الأكاديمية وفي ترسيخه كتقليد فرنسي وطني ما زال يحظى باهتمام عالمي. ولتوضيح ذلك، يشير المؤلف إلى بعض العوامل الإيجابية: بداية استفاد علم الاجتماع، حتى قبل استقلالته وإضفاء الطابع المؤسسي عليه داخل الجامعات، من عمل عدد قليل من الرواد. على وجه الخصوص أوغست كونت الذي أعطى كثافة للمفهوم الأول لكلمة علم الاجتماع وقدم الأفكار الأولى حول علم اجتماعي كما كان قادراً على تفسير أداء المجتمع بالإضافة إلى اهتمامه بمجالاته السياسية والعلمية. بالإضافة إلى التأملات حول الحاجة إلى علم قادر على فهم التحولات الاجتماعية في العمل (الثورة الصناعية، والتحضّر، وتطور العقلية، وغيرها)، قام الرواد بإعداد أرضية خصبة لمجال علم الاجتماع، سواء من حيث المناهج (ملاحظة الواقع من داخل الميدان، على طريقة عالم الأعراق البشرية فريديريك لو بلاي) وكذلك على مستوى التمرکز في مجال العلوم ونظرية المعرفة، كما رأينا مع أوغست كونت وأتباعه. ونذكر منهم، على سبيل المثال، إميل ليطري صاحب المنهج الوضعي الذي أولى اهتماماً كبيراً بعلم الاجتماع، إذ لم يعتبره فرعاً معيّن من الفلسفة الوضعية فقط... «(ص 75). ولكن بالنسبة لكثيرين من المهتمين، فإن التطور المديد لعلم الاجتماع يعود لإميل دوركهيم: فقد منح في فرنسا، برنامجاً، وأعطاه هدفاً محدداً - دراسة الحقائق الاجتماعية»

## • الكتاب: علم الاجتماع الفرنسي:

### النشأة الاجتماعية لتقليد فرنسي

• المؤلف: يوهان هيلبرون

• الناشر: المركز الوطني للبحث

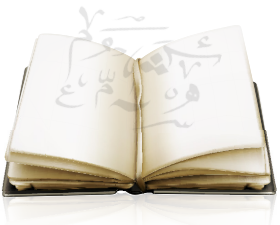
العلمي، باريس، فرنسا.

• سنة النشر: 2020

• عدد الصفحات: 334 ص

• اللغة: الفرنسية

\* كاتب ومترجم مغربي



## العنصرية.. الجروح وطلاقة التحمل نعيمة شرقاوي

عبدالرحمن السليمان \*

يحتدم النقاش اليوم في العالم حول العنصرية؛ نتيجة للأحداث المأسوية التي شهدتها السنوات الأخيرة وأدت إلى نشوء حركات مناهضة للعنصرية أهمها حركة (Black Lives Matter) «حياة السود مهمة أيضاً». وأسهمت الأحداث التي وقعت في الآونة الأخيرة - ومنها مقتل الأمريكي (George Floyd) بتاريخ ٢٥ مايو ٢٠٢٠ - في إذكاء أوار الحديث في العنصرية وأسبابها ونتائج ممارستها على الضحايا، وفي جعله حديثاً راهناً. كما فرضت مشاهد تحطيم تماثيل الملوك والرؤساء والسياسيين الكبار الذين عاصروا الحقبة الاستعمارية أو الذين كان لهم دور ملموس فيها على المجتمعات الغربية، مراجعة ملحة للتأمل في الماضي الذي كان - حتى وقت قصير مضى - يُعتبر مجيداً.

نشأ لدى الأجيال المنحدرة من أفارقة سيقوا رقيقاً إلى الولايات المتحدة شعور بالحيف، فعلى الرغم من إلغاء الرق في الولايات المتحدة الأمريكية رسمياً بتاريخ ١٨ سبتمبر ١٨٦٥، فإن المجتمع الأمريكي لم يتخلص كلياً من تبعات العنصرية وأهمها الشعور بتفوق العرق الأبيض على العرق الأسود ومعاملة الأمريكيين الملونين على هذا الأساس.

على تأليف هذا الكتاب، وتلخص ذلك بقولها «على الرغم من أن الحراك الاجتماعي حول العنصرية والتمييز وسَّع أفق النقاش ليشمل مواضيع أخرى تتعلق بالمواطنين أصحاب الخلفيات الإثنية المختلفة، فإن ثمة ضرورة لتفعيل الحديث حول الانفتاح والتنوع لدى النشء من خلال التربية على المواطنة العالمية». وتضيف بأن النقاش المتعلق بالعنصرية والتمييز «يفتقر إلى الاهتمام بضحايا العنصرية وبدعمهم» وذلك على الرغم من أن معظم الدراسات ترى بأن التمييز يتزامن عند الضحية مع شكاوى صحية كالإكتئاب وغيره. وتستحضر الكاتبة أثر ذلك على الضحية من خلال نشر رسالة لمراهق بلجيكي مسلم من أصول مغربية أرسلها إلى برنامج أطفال محلي بعد الهجمات الإرهابية التي ارتكبتها أتباع تنظيم داعش الإرهابي في بروكسيل يوم ٢٢ مارس ٢٠١٦ ويعبر فيها عن حزنه الشديد عما حدث، ثم يقول: «لقد جعلني هذا الحدث أن أخرج من الإسلام، وأن أشعر بالخجل على الدوام لأنني مغربي الأصل. لقد أصبح الحزن يدمرني من الداخل وأنا أتأمل في نظرات الناس إليّ وكأنني أنا الإرهابي الذي قام بتلك الهجمات».

وتستطرد الكاتبة بالقول إن ثمة فجوة عند الحديث عن العنصرية وما إليها يتمثل في التركيز على الفعل والتبعية القانونية للفعل ويهمل الضحية وما تتعرض له من أذى نفساني يؤثر عليها على المدى القريب والبعيد. فبلجيكا، مثلها في ذلك مثل كل دول الغرب، تُجرّم العنصرية وتعاقب عليها وأنشأت مراكز تبليغ وجمعيات متخصصة للدفاع عن ضحايا العنصرية. ولكن الكاتبة تعتقد أن الجمعيات المتخصصة في علاج تبعات العنصرية لا ترى في التعامل مع شكاوى العنصرية طلباً ضامراً ملحاً يقدمه الضحية بطريقة غير مباشرة للحصول على المساعدة الصحية والنفسانية بقدر ما ترى فيها جرماً يُحال إلى القضاء للنظر فيه.

وتختتم بالقول إن الدعم القانوني الذي تقدمه الجمعيات المناهضة للعنصرية لضحايا العنصرية هو دعم ينطلق من فكرة التنوع الثقافي «لأن طريقة التربية لدى الآباء ذوي الخلفية المهاجرة

دمار هائل في البنية التحتية للدول المتحاربة، في خلق مجتمعات شديدة التنوع. جاء معظم العاملين من دول نامية كالمغرب وتركيا وجنوب أمريكا. وزاد الحركيون - وهم الجزائريون الذين خدموا في الجيش الفرنسي وقاتلوا مع فرنسا ضد الجزائريين إبان الثورة الجزائرية والذين التحقوا بفرنسا بعد استقلال الجزائر خشية الانتقام - في تنوع الموزايك الفرنسي بفتحة سكانية تتجاوز المليون اليوم. وعلى الرغم من السياسات الرسمية وشبه الرسمية التي تحاول دمج الفئتين في المجتمعات الغربية - أي الفئة المنحدرة من الرقيق والحركيين من جهة، ومن العمال المهاجرين من جهة أخرى - وتمكينهم بتجنيسهم ومعاملتهم مثل معاملة المواطنين الأصليين على جميع المستويات، فقد نشأ لدى الأجيال المنحدرة منهم شعور بالحيف تارة وبالتمييز تارة أخرى أدى إلى غضب ضامر انفجر في الأحداث الدامية التي شهدتها المجتمعات الغربية سنة ٢٠٢٠ التي أطلقت شرارتها حركة (Black Lives Matter) «حياة السود مهمة أيضاً». دمر أتباع هذه الحركة تماثيل القادة الغربيين إبان فترة الاسترقاق في ساحات أمريكا أو الضرة الاستعمارية في ساحات مدن أمريكا ولندن وباريس وبروكسيل التي شوّه فيها تمثال الملك ليوبولد الذي كان له دور في استعمار الكونغو وفي بعض المآسي الإنسانية التي تزامنت مع استعمار بلجيكا له.

يعالج الكتاب موضوع هذه المراجعة الغربية لتاريخ العنصرية وللعنصرية ذاتها وتبعاتها في السياق البلجيكي. تبدأ الكاتبة « وهي عالمة اجتماع بلجيكية ولدت لأب مغربي وأم بلجيكية » كتابها بالتأكيد على أن العنصرية ليست فقط مشكلة اجتماعية فحسب، بل شخصية أيضاً، ذلك أن العنصرية - خصوصاً ممارساتها الخفية - تؤثر سلباً على صحة الأطفال وتعيق تطورهم. لذلك تركز الكاتبة على تنمية طاقة التحمل عند الأطفال الذين ينشؤون في بيئة تعاني من العنصرية بأشكالها المختلفة، وترى للمدرسة دوراً مهماً في ذلك. ثم تتساءل في مقدمة كتابها عن السبب الباعث

وقد غدى هذا الشعور موقف الكنيسة البروتستانتية التي كانت ترى في استرقاق السود إرادة إلهية، ذلك أن التوراة تذكر في الإصحاح التاسع الآيات ٢٠ وما يليها من سفر التكوين أن نوحاً بارك ابنيه سام (أبي الشعوب السامية كالعرب واليهود) ويافت (أبي الشعوب الغربية) ولعن حاماً (أبا الشعوب الإفريقية) لأنه لم يغط عورته التي انكشفت عندما كان سكراناً. وأردف نوح لعنته ابنه حاماً بقوله في الآية ٢٥: (مَلْعُونٌ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَبْدٌ لَعْبِيدٌ يَكُونُ لِإِخْوَتِهِ)! ونظراً للدور القيادي لأمريكا في العالم ونشر الثقافة الأمريكية الشعبية من خلال صناعة السينما في هوليوود، فإن هذا الشعور بالتفوق انتشر مع انتشار الثقافة الأمريكية ليشمل أماكن في العالم لم تعرف حدة الرق كما كانت أمريكا تعرفه. من هذه الأماكن: الدول الاستعمارية التي كان لها دور في الاسترقاق المباشر كالأوربيين في جنوب أمريكا الذين وضعوا نظام الفصل العنصري «أبارتايد» (من الهولندية: apartheid) الذي أُلغي سنة ١٩٩٠ أي قبل ثلاثين سنة فقط! وعرفت المجتمعات الأوروبية ذات الإرث الاستعماري وجود أعداد كبيرة من الأفارقة، سواء أكانوا ممن استرقق في الماضي وأحضر إلى الغرب أو ممن جاؤوا فيما بعد إليه نتيجة للعلاقة التاريخية التي نشأت بين الدول الاستعمارية وسكان المستعمرات السابقة.

وهكذا نجد أعداداً كبيرة من أهل سورينام وأوروبا وغيرها من المستعمرات الهولندية السابقة في جميع أنحاء هولندا. كما نجد أعداداً كبيرة من سكان المستعمرات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية السابقة في إنكلترا وفرنسا وإسبانيا ينحدرون من أصول هندية وإفريقية وجنوب أمريكية. لا تشكل بلجيكا التي استعمرت الكونغو استثناء، ففي بلجيكا أحياء كثيرة يقطنها أفارقة من الكونغو ورواندا وغيرها من الدول التي كان لبلجيكا شأن خاص فيها. وساعدت هجرة اليد العاملة في مطلع الستينيات، التي كانت أوروبا بحاجة ماسة إليها لبناء ما دمرته حربان عالميتان ذهب ضحيتها أكثر من مائة وخمسة وعشرين مليون قتيل ونتج عنهما





بالحديث عن العنصرية والتمييز وضرورة التصدي لهما لتحقيق مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص للجميع. ولعل أشهر من طرح ذلك في أوروبا رئيسة المفوضية الأوروبية أورسولا فون دير لاين أثناء افتتاح السنة العملية الحالية حيث أدانت العنصرية والتمييز داخل الاتحاد الأوروبي بصريح العبارة ودعت إلى ضرورة التصدي لهما ومن وراء ذلك الأيديولوجيات التي تحت على خطاب الكراهية واستحضار أحداث تاريخية بعينها لتأجيج خطاب الكراهية. وفي بلجيكا افتتح رئيس جامعة لوفان الأستاذ لوك سيلس العام الجامعي بخطبة شرح فيها السياسة الجديدة لأهم جامعة في بلجيكا حول التنوع، وهي السياسة التي تخصص مساحة كبيرة للتنوع الإثني والديني والثقافي بشتى أنواعه، ليس فقط على مستوى الطلاب، بل على مستوى العاملين فيها سواء في هيئات التدريس أو البحث العلمي أو في المجالات الإدارية أو اللوجستية.

وتختتم الكاتبة كتابها بالدعوة إلى وضع سياسة جديدة تكون بمثابة خطة شاملة لمكافحة العنصرية تعترف أولاً بالضرر التاريخي الذي ألحقته الدول الاستعمارية بمستعمراتها السابقة بما في ذلك ضرر الرق، وتعديل المناهج التربوية وتسخر المدارس لتنشئة أجيال جديدة محصنة ضد العنصرية والتمييز وممارساتها في الواقع. وترى الكاتبة أن هذه السياسة الجديدة أصبحت الآن ملحة لأن المجتمعات الغربية اليوم -ومنها المجتمع البلجيكي- أصبحت شديدة التنوع الإثني والديني والمذهبي والثقافي والاجتماعي. ففي معظم المدن الغربية الكبيرة أحياء عربية وصينية ويهودية وإفريقية وآسيوية الخ. وإذا كانت سياسات الاندماج والتوطين الرسمية تقتضي تجنيس الأجانب ودمجهم في المنظومات الوطنية للدول الغربية مع الحفاظ على هوياتهم الأصلية (أي توطيئهم وليس صهرهم وتذويئهم في المجتمع)، فلا بد من أخذ هوية الآخر بعين الاعتبار واحترامها بله وتطويرها لأن هذا الآخر لن يكون مواطناً جيداً ويبدع في دراسته وعمله إلا إذا احترمت هويته وخصوصيته الثقافية كما تقول الكاتبة.

الكتاب مادة جيدة لدراسة العنصرية وتوعية الناس حول أثرها على المجتمع بشكل عام وعلى ضحاياها بشكل خاص، ويقترح حلولاً للعنصرية والتمييز ضد الآخر بسبب أصله أو دينه أو لونه، وكذلك سياسات عملية للتعامل معها. والمكتبة العربية بحاجة إلى مثل هذا الكتاب لندرة أمثاله فيها.

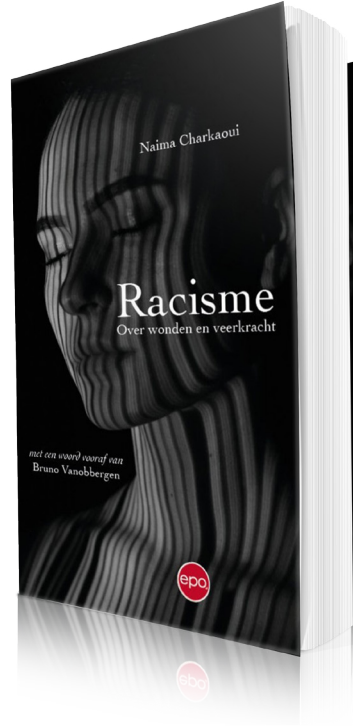
• **الكتاب: "العنصرية.. الجروح وطاقة التحمل".**

• **الكاتب: نعيمة شرقاوي.**

• **الناشر: دار إييو، أنتورب، بلجيكا، باللغة الهولندية، 2019.**

• **عدد الصفحات: 207 صفحات.**

\* **أستاذ الترجمة في جامعة لوفان في بلجيكا**



الطائشة للبرهان الصديقة قبل العدوة وحتى في مجال العلاقات الخاصة. تُمكن طاقة التحمل القوية -أو هذا الترس- صاحبه أيضاً من تطوير إستراتيجيات اتقاء متفاوتة تتناسب مع كل حالة من حالات العدوان والتنمر والممارسات العنصرية. تسمى هذه الإستراتيجيات في علم النفس «مسايرة» (coping) وتتمثل في تطوير القدرة على بذل مجهود عقلي لاحتواء الصدمات الناتجة عن السلوك العدواني أو الفشل أو خيبة الأمل أو ضغط العمل أو ضغوط الحياة بشكل عام. ويمكن لإستراتيجيات المسايرة -وهي في سياق الكتاب ضرب من التأقلم الحذر مع الواقع السلبي- أن تكون فعالة في التصدي للسلوك العدواني أو للحالات المذكورة أعلاه التي قد يهتز أمامها الإنسان كما ترى الكاتبة.

بالإضافة إلى طاقة التحمل، تعالج الكاتبة في هذا الجزء أيضاً مواجهة العنصرية بشكل مباشر، فتناقش بعض القواعد الأساسية في التعامل مع العنصرية. تقسم الكاتبة هذه القواعد إلى مسارين: «المسار التربوي والمسار السياسي». فالمجتمع -أي مجتمع- يتصرف وفق آليات معينة بعضها يمكن التأثير فيه وبعضها الآخر يستعصي على التأثير. وللتأثير في المجتمع وآلياته المسيرة له لا بد من البداية في المدرسة التي ينبغي أن تكون الأنموذج المثالي للمجتمع. ففي المدرسة يمكن تطبيق قيم المساواة وتكافؤ الفرص التي ينص عليها الدستور البلجيكي وغيره من دساتير الأمم الغربية». ويأتي المسار السياسي لحماية الأقليات وضمان حقوقهم. لقد جرّمت بلجيكا وغيرها من دول الغرب العنصرية والممارسات العنصرية ووضعت الآليات القضائية والتنفيذية لمتابعة المنتهكين لقوانين العنصرية والتمييز أمام القضاء ضمن دولة القانون. ووضعت حركة (Black Lives Matter) «حياة السود مهمة أيضاً» والأحداث التي واكبتها الساسة في الغرب أمام مسؤولياتهم بطريقة حادة لا تخلو من تطرف، خصوصاً مع انتشار الأيديولوجيات اليمينية الشعبوية ذات التوجه العنصري في الغرب. فسُنّت قوانين جديدة، وافتتح معظم الساسة والمسؤولين الغربيين السنة العملية الجديدة (بداية شهر سبتمبر من كل سنة)

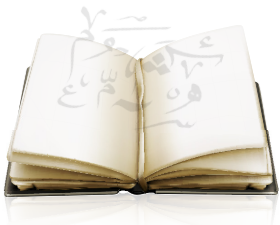
تتمحور حول التربية بين ثقافتين وليس في سياق التمكين ضد العنصرية والتمييز الاجتماعي».

إن الكتاب وثيقة مهمة بذلت فيه الكاتبة جهداً ملموساً في معالجة نتائج العنصرية النفسانية على الضحايا، ووظفت في كتابته خبرة ثلاث عشرة سنة عملت فيها خبيرة اجتماعية في مركز الأقليات الفيديري. مع ذلك فإن الكتاب ليس وثيقة سياسية، وليس إعلاناً أو مبادرة للقضاء على العنصرية بقدر ما هو «كتاب يركز على رعاية ضحايا العنصرية بشكل عام وإعادة التوازن إلى عملية تطوّرهم الشخصي» الذي قد يكون تعرّض للزعزعة نتيجة للممارسات العنصرية الخفية بشكل خاص. وساعدها عملها فيما بعد مفوضاً حكومياً لحقوق الطفل على استكشاف الآثار المترتبة عن العنصرية غير المباشرة أو الممارسات العنصرية الخفية التي تتجلى في مواقف وملاحظات وتصرفات معينة على الأطفال والقاصرين في سن التمدّرس الإلزامي أي من ستة أعوام إلى ثمانية عشر عاماً.

تقسم الكاتبة كتابها إلى جزأين رئيسيين. يتكون الجزء الأول من مقدمة عامة للكتاب ومن مقاربة تعريفية تطرح فيها المشكلة الرئيسية في الكتاب وهي العنصرية. ثم تلقي في الفصل الأول الضوء على الكلمة ومعانيها ودلالاتها المثقلة بالحمولات المختلفة، وتصف العنصرية من حيث هي ظاهرة اجتماعية مع التركيز الدائم على وضع ضحايا العنصرية. ثم تعالج في الفصل الثاني أثر الأشكال المختلفة للعنصرية على نمو الأفراد وتطورهم. وتتوقف الكاتبة في الفصل الثالث عند الطرق المختلفة للتعامل مع العنصرية كالتجاهل أو الرد العنيف أو التأقلم مع الواقع كما تفعل الحرباء أو الرد بهجوم مماثل وتضيق: «لا تشكل هذه الطرق حلاً لمشكلة العنصرية، وأحياناً قد تكون جزءاً من المشكلة».

ثم تحاول الكاتبة في الجزء الثاني من الكتاب أن تجيب على السؤال الرئيس: كيف نعتني بضحاي العنصرية بشكل أفضل؟ وتنطلق في الإجابة على هذا السؤال من التقرير بأن مفهوم «ثقافة الضحية» يثير لدى الكثيرين حالة من الاستياء العام لأنه ذو حمولة سلبية ذلك «لأنه يشير إلى أشخاص يتقمصون دور الضحية ويتصرفون وفقها، فيتجلى ذلك في سلوكهم السلبي وتحميلهم الآخرين مسؤولية الإخفاق». وتضيف الكاتبة بأن هذا تعريف غير إيجابي للضحية وترى أن الضحية مفهوم ذو بعد واقعي وتشبه ذلك بشخص تعرض لحادثة سير ثم أصيب على إثرها بكسور وجروح بالغة في جسمه. إذن ثمة ضرر ألحق بهذا الشخص لا تخطئه العين. والمرحلة التالية بعد الاعتراف بهذا الضرر الواقع هي معالجته. وعلاج ضحايا العنصرية يتكون حسب الكاتبة من خلال تطوير طاقة التحمل لديهم لمواجهة العنصرية لاحتواء تبعاتها، إذ لا تحول طاقة التحمل دون حدوث العنصرية، لكنها تقلل من ضررها على الشخص الذي يتعرض لها من خلال تسميك الجلد لحماية ما تحته». وهكذا تبقى إستراتيجية الجلد السميك الجروح التي تسببها العنصرية خارج الجسد. إذن هي إستراتيجيات تصدي مسبقة ينبغي تنميتها عند كل شخص كي تمكنه من احتواء الصدمة الناتجة عن الممارسات العنصرية.

وعليه، فإن طاقة التحمل هي بمثابة ترس بينه الإنسان وبتعهده بالرعاية طوال حياته ليستطيع به احتواء أي سلوك عدواني كالتنمر في المدرسة أو في العمل ولوقاية الذات من الشظايا



## "كوفيد 19".. ما الذي يهّم في الأزمة؟ عن الفلسفة في الزمن الفعلي

### نيكيل موكريي وأدريانو مانيو

#### رضوان ضاوي \*

صدر كتاب جديد بعنوان «ما يهّم في أزمة كوفيد 19: عن الفلسفة في الزمن الحقيقي» للفيلسوفين نيكيل موكريي وأدريانو مانيو، الخبيرين الاقتصاديين، وهما عضوان في مجموعة بحثية متعددة التخصصات تعمل على تطوير إستراتيجيات للتعامل مع وباء كوفيد 19 ومخاطر الكوارث الأخرى، إلا أنها ليسا من علماء الفيروسات أو علماء الأوبئة. فما الذي يمكن أن تسهم به الفلسفة في حل مشاكل الأوبئة والجوائح والأمراض؟ وكيف يكون العمل العقلاني ممكناً في أزمة كورونا المستجدة؟ يتكون الكتاب من أربعة فصول وقاموس للمصطلحات المتعلقة بالمجال المعجمي لكوفيد 19، إضافة إلى بيبلوغرافيا مهمة ينصح المؤلفان القراء بمطالعتها. يؤكد المؤلفان على أنه خلال أزمة كوفيد، سرعان ما أصبح واضحاً أن علم الفيروسات وعلم الأوبئة ليسا التخصصين الوحيدين في مواجهة هذا الوباء؛ فموضوع خطير مثل هذا يتطلب مناقشة متعددة التخصصات تضيء جميع الجوانب ذات الصلة من وجهات نظر مختلفة للاقتصاديين والتشريعيين وعلماء الاجتماع.

حقاً. لذلك؛ يُمكن أن يؤدي الوعي والتعليم التاريخي بالأوبئة إلى التقليل من حالات التهديد الحالية، ومعالجة عجز «المعرفة بالكوارث». أما العلماء والمتخصصون في الفيروسات فهم على دراية جيدة بمخاطر الفيروسات والأوبئة. ومع ذلك، كان بعضهم مخطئاً بشكل كبير في البداية. فقد قال عالم الفيروسات في بون، هنريك شتريك، في نهاية شهر يناير إن فيروس كورونا الجديد «ليس أكثر خطورة من الإنفلونزا»، كما أخطأ عالم الفيروسات كريستيان دروستن وعالم الأوبئة السويسري مارسيل سالتي تقدير الخطر، وإن كان بشكل أقل وضوحاً، حيث أشارا إلى إمكانية السفر إلى إيطاليا دون التعرض للخطر المستجد. ثم كان شمال إيطاليا في حالة طوارئ، وأفاد أطباء العناية المركزة أنه يجب فرزها «كما هي الحال في الحرب».

يرجع المؤلفان حدوث مثل هذه الأحكام الخاطئة إلى حقيقة أن التقييمات ذات الصلة بالعمل مثل «الرحلات إلى إيطاليا غير إشكالية»، لا تلعب دوراً في قضايا المخاطر الوبائية فحسب، بل أيضاً دوراً أخلاقياً. يمكن للمرء أن يلجأ إلى علم النفس لشرح التشوهات المعرفية النموذجية التي يتعرض لها حتى الخبراء الذين بالتأكيد لا يفتقرون إلى الخبرة الفنية، لكنهم يفتقدون إلى فهم هذه المعرفة بشكل حدسي وعاطفي بشكل صحيح وترجمتها إلى إجراءات مناسبة. أظهر علم النفس المعرفي أن الخبراء غالباً ما يقعون في نفس المغالطات البديهية هنا مثل الأشخاص العاديين وغالباً ما يجهلونها. ويضيف المؤلفان أن إدانة الخبراء والعلماء والاقتصاديين لكل شعور بالخوف على أنه غير عقلاني، لا يساعد في التقييم الموضوعي لموقف خطير. فرغم أن الناس وجدوا صعوبة في تقييم المخاطر بشكل مناسب ولا يعرفون أي شيء عن الخطر الفعلي الموجود في الجائحة الحالية، برع العديد من علماء النفس وعلماء المخاطر والاقتصاديين وعلماء السلوك البارزين في شهري فبراير ومارس من هذا العام، في الترويج للأطروحة القائلة بأن الناس أصيبوا بذعر لا أساس له من الصحة من فيروس إنفلونزا جديد.

وتفتقر المجتمعات الغربية على وجه الخصوص إلى المعرفة القائمة على الخبرة ذات الصلة والرغبة في التعلم من المجتمعات الأخرى. حتى وقت قريب، لم تكن الأوبئة الخطيرة ببساطة جزءاً من بيئتنا المعيشية. قال لوثار ويلر، رئيس معهد روبرت كوخ، في مؤتمر صحفي في نهاية شهر مارس: «نحن جميعاً في أزمة من الحجم الذي لم أكن أتخيلها أبداً». ربما تلعب غطرسة ثقافية معينة دوراً في هذا الصدد، وربما كان الحذر من متمردي كورونا ممن يشكلون خليطاً من الذين

ينبغي للصين أن تكفي؛ لأن العالم أصبح العالم أكثر عولة وتشبيكاً، والفيروس يمكن أن ينتقل حول العالم في غضون ساعات قليلة فيتم إيقاف الحركة الجوية من الصين. كان ينبغي توقع ما سيحدث في سوق الأقمعة أثناء الجائحة، كمنتج بينس واحد أصبح «باهظ الثمن فجأة». وكان من المنطقي تطوير تطبيقات التتبع وتحديد إستراتيجيات لزيادة قدرات الاختبار، والتوقف عن مواصلة الدول الغربية التقليل من أهمية هذه الحزمة الفعالة والرخيصة نسبياً من التدابير التي تم تنفيذها منذ فترة طويلة في كوريا الجنوبية وتايوان. كما توجب إنشاء أقسام للأمن الصحي في وزارة الصحة. ويستدرك الفيلسوفان أن الشروع في إجراءات صارمة، لا تتخذ من منطلق الثقة التامة فيها، ولكن من منطلق وجوب طرح هذه الإجراءات للتطبيق في ظل عدم اليقين، فيتوجب تبرير ضرورة الإغلاق على وجه اليقين، والتفكير في البديل الاجتماعي والاقتصادي للناس، رغم ذلك يؤمن الفيلسوفان بالمائل القائل: من الأفضل أن تبقى آمناً لا أن تبقى أسفاً، من خلال التفكير في تقليل المخاطر قدر الإمكان.

ينتقد الفيلسوفان بشدة عدم تبليغ الخبراء العلميين والسياسيين مثل هذا التبرير الذي ينطلق من موقف نقدي عقلاني؛ إذا لم تقم بإبطاء انتشار الفيروس بالسرعة الكافية، فإنك تخاطر بإصابة نفسك بالعدوى بشكل لا رجعة فيه، بينما يمكن تخفيف ورفع الإغلاق، فمن حيث المخاطر الأخلاقية، يعتبر الإغلاق أفضل كاستراتيجية قابلة للتحكم العكسي، مما يسمح بتصحيح الأخطاء التي ارتكبت وتكييف أفعالنا مع الحالة الجديدة للمعرفة من خلال الموقف النقدي العقلاني. ويعطي الباحثان نموذج السويد التي خافت من التأثير الاقتصادي للإغلاق، ووثقت في العديد من الأشخاص الذين يلتزمون طوعاً بإجراءات الحجر، لكنها أغفلت أو تجاهلت مدى ضرر العدوى اقتصادياً؛ لذا فقد عانت البلاد من عدد كبير من القتلى بلا داع وخاطرت بمخاطرة كبيرة يصعب تبريرها.

بين العامة والخبراء: افتقار إلى المعرفة بالأوبئة وضعف التواصل بين جماهير الاتحاد الأوروبي

في البداية تساوى العامة والخبراء في مسألة عدم الأخذ بجديّة الوباء. يفتقر العامة إلى المعرفة الأساسية حول تاريخ الأوبئة والجوائح، ولم يسمعوها ربما من قبل بالإنفلونزا الإسبانية التي قتلت ما يصل إلى مئة مليون شخص بين عامي 1918 و1920، وهو عدد يقول المؤلفان إنه يفوق عدد الضحايا العسكريين في الحرب العالمية الأولى بأربع إلى خمس مرات. ومع ذلك، فإن هذه الكارثة لم تخترق ذاكرة الإنسان

ومن خلال الكتاب، يظهر جلياً للضارئ أهمية الفلسفة في تقديم إجابات على سؤال القرار العقلاني والمبرر أخلاقياً في ظل ظروف عدم اليقين والجهل. ذلك أن التخصصات الفلسفية تقدم هذا الموضوع من خلال نظرية المعرفة ونظرية العلوم ونظرية القرار وأخلاقيات المخاطرة وفلسفة الكوارث أو ما يمكن أن نسميه بيداغوجيا الكوارث. يتحدث الكتاب عن الأهمية القصوى التي باتت «فلسفة في الوقت الحقيقي» تكتسبها في أزمة كورونا. فنظراً لإلحاح المخاطر، هناك ضرورة حالياً إلى اتخاذ قرارات ولا يمكن تحمل ترف الانتظار حتى يتم اثبات المعرفة بهذه المشاكل، لذا يتعين على الفلاسفة معالجة البيانات والحجج تحت ضغط الزمن، لأنه يجب اتخاذ القرارات بشأن الإجراء قبل نقطة زمنية معينة. ونظراً لأن هناك أولوية للممارسة، يتعين العمل بأفضل المعلومات المتاحة حتى لو كانت أقل موثوقية مما يتم قبوله في العادة، فوضع البحث يتغير بوتيرة سريعة، مما يتطلب تكييف تفكيرنا وتصرفنا.

الخبراء.. الثقة النسبية أو التشاؤم

ركّز هذا الكتاب على ما سيراهن عليه الإنسان إذا لم يكن من الممكن استبعاد سيناريوهات أسوأ حالة كارثية، لتجاوز المؤلفان القاعدة العامة التي تدعو إلى اتباع غالبية مجتمع الخبراء الذين يصدرون أحكاماً أكثر موثوقية من الناحية الإحصائية. فلا ينبغي أن تكون ثقة الناس مطلقة في رأي الأغلبية من الخبراء، بل يتوجب عليها أن تمثل حكماً احتمالياً. تساعد نظرية القرار وأخلاقيات المخاطر على التخفيف من وطئة التساؤل عن المدى الذي سيكون فيه الأمر سيئاً إذا أخطأت مجموعة من الخبراء، فيكون الجواب عنه بالتفكير في الإجابة عن مثل هذا السيناريو. ففي حالة الموضوعات المثيرة للجدل، قد يكون من المعقول جداً تصديق غالبية الخبراء، ولكن في نفس الوقت يجب أن يكون الناس آمنين ويتبعون أقلية من الخبراء المتشائمين في العمل التطبيقي، وتعني كلمة «متشائم» هنا أن الخبراء المعنيين يتوقعون سيناريو كارثة يجب التفكير في مواجهتها. يوضح المؤلفان أنه ربما أمكن تجنب الإغلاق إذا ما اتبع المسؤولون هذا المبدأ: «اتباع أقلية من الخبراء إذا كانوا متشائمين».

ومن هنا، يفحص هذا الكتاب مجموعة من الأسئلة غير المريحة على نحو منهجي، فعندما ننظر إلى الوراء في بداية الوباء، نجد أن تطوير مقاطعة هوبي الصينية عسكرياً، معطى قوي وواضح على أن حالة الخطر ربما تكون حقيقية للأوروبيين أيضاً، ودراسة الحالة المسأوية لشمال إيطاليا التي أيقظت أوروبا في النهاية لم تكن ضرورية. فقد كان



رؤيته؟ يؤكد مؤلفا هذا الكتاب أن الأمر «يتطلب مناقشة متعددة التخصصات تضيء جميع الجوانب من وجهات نظر مختلفة». تتمثل مهمة الفلسفة في الحصول على لمحة عامة عن كل شيء واستخلاص النتائج منه. ويأمل الفيلسوفان في «توفير قوة دفع فلسفية للنقاش مع هذا الكتاب». ورغم أن هناك من يشكك «في العمل الفلسفي الراسخ حول أزمة فيروس كوفيد 19 في مثل هذه المرحلة المبكرة»، إلا أن الجدل السياسي والاجتماعي أظهر «أن المعالجة المناسبة للكثافة الوبائية لا يمكن تركها لعلماء الفيروسات وعلماء الأوبئة وحدهم». ويرجع ذلك أساساً إلى أنه على الرغم من إتقانهم لمجال تخصصهم، إلا أنهم لا يستطيعون بالضرورة تقييم العواقب الاجتماعية الناتجة عن هذا الوباء: «تستطيع الفلسفة بالفعل أن تقدم مساهمة كبيرة في حل مشكلات صنع القرار المعقدة فيما يتعلق بالوباء، لكن الفلاسفة لا يستطيعون تحمل ترف انتظار جميع البيانات ذات الصلة». وهذا هو الخيط المشترك الذي يمرره الكتاب بأكمله: توقع الأسوأ، وعدم انتظار بيانات موثوقة، رغم أن هذا الكتاب يظهر أن الفلسفة تدعو إلى ضرورة التفكير في العواقب حتى في ظل عدم اليقين. ففي رأي المؤلفين، هذا هو بالضبط المكان الذي تدخل فيه الاعتبارات الفلسفية. ويقصد المؤلفان بـ«العلم في الوقت الحقيقي» أن أفضل المعلومات المتاحة حالياً تأتي من العلم، لكن لا توجد معرفة علمية مضمونة بالكامل وأن غالباً ما يكون هناك عدم يقين، وتصريحات متناقضة من قبل كبار علماء الفيروسات على أساس يومي. لكن هذا ليس سبباً للشك في العلم. على العكس من ذلك، هذا هو بالضبط ما يمكن أن يتوقعه المرء من العلم القائم على الأدلة: أن الأخطاء يتم مراجعتها بسرعة واستبدالها بنتائج علمية جديدة.

ويختتم الكتاب بنظرة عامة حول ما يمكن أن نتعلمه من هذه الحالة لمستقبلنا؛ على سبيل المثال للمناقشات حول مخاطر الكوارث الناجمة عن تغير المناخ والذكاء الاصطناعي. هذا الكتاب يوضح كيفية الحفاظ على صفاء الذهن في ظل ظروف الكوارث من خلال تقييم عملية «الفرز، والدعوة إلى «أخلاقيات الكارثة»، وكيفية تجنب أخطاء الحكم في أزمة كورونا، ووجود حظر «الأخبار الكاذبة والأكاذيب المتعمدة». ويحذر من أننا سنستيقظ مرة أخرى - من الكارثة الصغيرة إلى الكارثة الكبرى والأسوأ بكثير لتغير المناخ الذي سيستمر لعدة عقود مقبلة. ويؤكد الفيلسوفان في كتابهما أن ما نحتاجه هو فلسفة أخلاقيات عقلانية قائمة على الأدلة ويأملان أن يكون هذا الكتاب «دافعاً فلسفياً للنقاش». إنه كتاب موجه للمعلمين والفضوليين، وللقراء المتخصصين، وهو مثال رئيسي للتواصل العلمي المفهوم وأحد أهم الكتب حول أزمة كورونا.

• الكتاب: «كوفيد 19.. ما يهمُّ عن

الفلسفة في الزمن الفعلي».

• المؤلفان: نيكيل مكري وأدريانو مانينو.

• الناشر: ركلام، 2020، بالألمانية.

• عدد الصفحات: 120 صفحة.

\* باحث في الدراسات المقارنة -  
الرباط/المغرب



- يحيل الفيلسوفان على هجمات وسائل الإعلام الشعبية لصحيفة مثل صحيفة دير بلد على ممارسة البحث والنشر الفيروسي. هذا التبخيس في قيمة المعلومة هو الجانب السلبي للافتراض غير النقدي بأن علماء الفيروسات يمكنهم أيضاً اتخاذ قرارات صحيحة بشأن القضايا الاجتماعية والسياسية. لذلك يوازن موكرجي ومانينو بين خبرتهما العلمية ولحظة الشك، والتي يمكن للجميع الوصول إليها؛ ماذا لو كنت مخطئاً؟ توجد الرغبة في أن يتمكن العلماء من «اكتساب وجهات نظر عقلانية وإصالتها إلى الجمهور دون تشويه»، وهذه المعالجة تصدّ التشويه الناجم عن عدم الفهم.

- من المهم جدا انتقاد القومية، التي أدت إلى تأخر الاستجابة السياسية والحزم في صنع القرار السياسي والنقاشات العامة أثناء الوباء، وبالتالي جعل الانتشار العالمي للفيروس ممكناً. يناقش الكتاب كيف يمكن اتخاذ القرارات بطريقة عقلانية ومبررة أخلاقياً في أزمة نشأت؛ كيف يجب، قبل كل شيء، تسويق المعرفة المتخصصة واتخاذ القرار السياسي والخطاب الاجتماعي، وإجراء مناقشة أساسية حول وضع الخبر. فقد كان من الممكن اتخاذ الإجراءات المتخذة لمكافحة الوباء الصيني كمؤشرات على مدى التهديد على محمل الجد. ولكن على ما يبدو، فإن توطين مسببات الأمراض في مسافة يفترض أنها غريبة يعيد إنتاج الأنماط الاستعمارية لسياسات الأوبئة في القرن التاسع عشر. ففي جغرافيا إلقاء اللوم على الآخر، تقوم الغرائبية بتوطين مسببات الأمراض على أطراف الحضارة، فغالبا ما تتناقض إجراءات الحجر الصحي الصارمة مع مبادئ الحضارة الغربية.

- إلى جانب النظر إلى الأوبئة على أنها مجرد أحداث مصيرية أكثر من اعتبارها أحداثاً من صنع الإنسان جغرافياً، يكون من السهولة بمكان تحديد المسؤولية البشرية عن أصل الفيروس. ويرى موكرجي ومانينو أن العوامل النفسية وراء الاستجابة المترددة للتهديد الوبائي الناتجة عن نقص الخبرة الشخصية والثقافة الشعبية وسرديات تفشي المرض والتهديدات القاتلة من العدوى العالمية، وبالتالي عدم القدرة على التخيل.

الفلسفة في أزمة: «يجب أن نفكر مسبقاً»

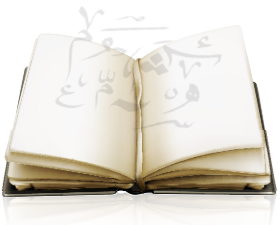
ولكن لماذا يجب أن يتعامل علم نظري مثل الفلسفة مع أزمة كورونا؟ ما الذي يستطيع الفلاسفة رؤيته ولا يستطيع علماء الفيروسات

يؤمنون بنظريات المؤامرة ومتطري اليمين ولكن أيضاً من الألمان القلقين حيال الأمر، الذين ينشرون الادعاءات، وفقاً للشعار: «ما الذي يمكن أن يحدث لنا في الدولة الأكثر أماناً والأكثر قوة اقتصادياً في أوروبا؟» حتى عندما وقعت الكارثة في إيطاليا، تم في البداية نفي خطورة الوضع في ألمانيا وسويسرا. استغرق الأمر عدة أيام حتى يلاحظ الجمهور الألماني تقارير الفرز المرعبة لأطباء العناية المركزة الإيطاليين، واجتهاد التنفيذيين والصحفيين الإيطاليين في محاولة بلا جدوى لعدة أيام لإيقاظ الجمهور الألماني، وهو راجع بالأساس إلى ضعف التواصل بين الجماهير في أوروبا الموحدة، وهذا يؤدي في وقت لاحق إلى زعزعة الثقة في المؤسسات العامة، وهي مسألة مهمة من منظور أخلاقي للمخاطر. لكن يجب توضيح أنه لا يوجد سبب لسحب الثقة في المؤسسات العامة أو في العلوم، حتى لو ثبت أن التدابير الوقائية غير ضرورية في حالة معينة، ففي حالة كوفيد-19، تشير البيانات الحالية إلى أن التدابير الوقائية كانت مهمة وكان ينبغي اتخاذها قبل ذلك بكثير.

يذكر المؤلفان ثلاث طرق مبررة أخلاقياً للخروج من الحجر: تأخير تسطيح منحنى العدوى على مدى فترة زمنية طويلة جداً حتى لا يتم تحميل النظام الصحي فوق طاقته، وفرض سياسة الاحتواء، بهدف استخدام التدابير المناسبة لتقليل رقم التكاثر الفعال للفيروس ثم إيقافه تماماً. وأخيراً استراتيجية الشرقة، التي تمكن من حماية المجموعات المعرضة للخطر من خطر الإصابة على أفضل وجه ممكن، بينما يؤدي المجتمع بشكل طبيعي وظائفه. يميل المؤلفان إلى استراتيجية الشرقة المبررة في ظل الخلفية التالية: يجب منح كبار السن والمرضى سابقاً حماية خاصة دون إهمال إجراءات الاحتواء مثل الاختبارات وتطبيقات التتبع وارتداء الأقنعة. يجب أيضاً أخذ التطعيم الإجباري في الاعتبار بمجرد توفر المستحضر المناسب. إن الإصابة البطيئة والتأخر في بناء مناعة القطيع، تنطوي على مخاطر صحية كبيرة وتكاليف اقتصادية هائلة وتحد من حقوق الناس الأساسية لفترة طويلة بشكل غير مقبول. إذا لم تحم الناس نفسها فإنها تزيد العبء على المستشفيات في حالة المرض فيعرضون الآخرين إلى الخطر، وينعدم العلاج. وأسوأ السيناريوهات التي يمكن أن تزدهر عدم بناء مناعة القطيع بشكل كاف، لأن العدوى، مثل الأنفلونزا الإسبانية، توجد منها موجة ثانية منها، وهي أكثر فتكاً بسبب طفرة في الفيروس؛ وأنه في غضون عامين لن يكون هناك لقاح؛ أو أن نسبة كبيرة من مرضى كوفيد 19 يعانون من أعراض خطيرة.

يسأل موكرجي ومانينو الخطاب السياسي الحالي عن شروط اتخاذ القرار العقلاني تحت ضغط الوقت وعلى أساس انعدام المعلومات الكافية علمياً. ويشير هذا الفريق إلى أن الأزمات تتطلب تصور مبادئ القرار، وأن الحكمة السياسية تفعل ذلك بشكل مثالي قبل حدوث الأزمات. ولا يظهر تركيز الكتاب على نظرية المعرفة بالمخاطر بأي حال من الأحوال حدوداً، بل يظهر الثقة بالنفس للفلسفة كعلم أساسي، يتمثل اختصاصها في العمل «كمراقب لدى ملاءمة جميع الاعتبارات الأخرى». وقد طرح المؤلفان نموذجاً صارماً لترتيب الأسئلة الفلسفية زمنياً، ويمكن تليخض أهم محتويات الكتاب على النحو التالي:

- كان الوباء متوقعاً. تحيل أزمة كوفيد الإنسان بشكل مباشر على أزمة البيئة الناتجة عن استهلاك اللحوم وإزالة الغابات وتغير المناخ بوصفها عوامل خلفية لفيروس سارس 2 ولتفشي الأمراض المعدية الناشئة، بسبب تدمير النظم البيئية، وإظهار العدوى على أنها عادة كارثة طبيعية بمعنى حدث طارئ مصيري، هي النظرة المنعزلة للوباء التي تهدد بمنع الدروس المستفادة منها، ومن بينها يرى المؤلفان قبل كل شيء تحولاً بيئياً، لا سيما في إنتاج اللحوم واستهلاكها.



## عشاق سامنتا عمر عبد السلام

### فيلابوراتو عبد الكبير \*

لأول وهلة يبدو للقارئ من عنوان الكتاب أنه يحتوي في دفتيه رواية مثيرة. وجميع عناوين الفصول داخل الكتاب أيضاً على نفس المنوال رائعة تثير اهتمام القارئ مثل «اللعبة التي اسمها الحياة»، «حين تصبح البومة طائرة داجنة» و«الطاس وصانغ الذهب» و«انتظر قليلاً سأتيك حالا بعد أن طبعت بيتا» و«لحوم أغنام تتوافر دون ذبحها» و«كلمات سر حية» و«مدائن عاقلة» و«البيت بحرا وسماء». هكذا يفتح المؤلف أبواباً إلى عالم من عجائب تنتجها التقنية الحديثة. إذن من هي سامنتا هذه ومن هم عشاقها؟ يلتقي بهم القارئ في الفصل الأول ذاته. وذاك حكاية تيودار المصاب بمرض الكآبة بعد أن غادرته زوجته وصديقه صباه كاترين. غدا المسكين في معزل تام من الحياة الاجتماعية منقبضاً إلى داخله. ذات يوم يلتقي صدفه بسامنتا. تعمقت العلاقة بينهما واستعاد نشاطه حين مشيا على رصيف لوس أنجلوس، فعاد تيودار في مكتب عمله وبدأت تشغفه سامنتا حبا. وبعد فترة فوجئ بأن لها أخدانا آخرين، كان لها ٦٤١ عاشقا، بالنسبة لسامنتا، وجميعهم كانوا سويا مثل تيودار في نظرها، وزادت دهشة تيودار حين صدمته الحقيقة بأن سامنتا ليست إنسانة حية إنما هي كائنة آلية ذكية مصنعة ومكلفة لمساعدة الناس.

قبل ربع قرن لم تكن الهواتف الجوّالة إلا مجرد حلم. حتى أواخر الثمانينات للمكالمات الدولية عبر الهواتف الأرضية كنا مضطرين أن ننتظر ساعات طويلة، وربما يوماً كاملاً تقريباً لكي يتم تفعيل الخط الدولي، مع ذلك في بعض الأحيان تكون النتيجة يائسة. الآن لا نحتاج إلى ذلك الانتظار الممل. يمكننا أن نتصل مباشرة بأي شخص في أي ركن في العالم خلال دقائق وبمعاينة صورنا. والهواتف الذكية متوفرة الآن في السوق بأقل بضعفين تكلفة وبأقوى قوة من حواسيب سوبر مما كانت قبل ٣٠ عاماً.

ويقوم المؤلف بتصنيف الذكاء الاصطناعي إلى ثلاثة أصناف بناء على الوظيفة التي يقوم بها. وهي (١) الذكاء الاصطناعي الضيق (ANI - Artificial Narrow Intelligence) (٢) الذكاء الاصطناعي العام (AGI - Artificial General Intelligence) (٣) الذكاء الاصطناعي السوبر (ASI - Super Intelligence) ثم يشرح بالتفصيل امتيازات كل واحد منها وكيف أن الشركات الدولية العملاقة تستغلها لقراءة أذواق مستخدميها وتوجهاتهم، وذلك لتسويق منتجاتها في نطاق واسع وسط المستهلكين. ونقرأ في هذا الفصل أهمية دور الروبوتات التي تقوم بها في مجال الصحة والطب والتعليم والاقتصاد.

ويلاحظ أن هذا الكتاب كما يصفه المؤلف مقدمة للثورة الصناعية الرابعة المقبلة. بعد أن تجاوز الإنسان مرحلة صيد الحيوانات في حياته البدائية في الغابات استقرت حياته بفضل الزراعة. أصبحت الزراعة مهنة الأسرية. ولما بقيت منتجاتها الزراعية بعد قضاء حاجاته الأساسية توجهت اهتماماته إلى التجارة، قدر ما ترعرعت الزراعة والتجارة افتقر إلى مزيد من الآلات والأدوات، تحققت هذه المطالب من خلال المهن اليدوية التي وفّرت له تلك الآلات التي أدت إلى توزيع المهن وتنوعها، حين توافر له الوقت الفارغ بدأ أن يتوسع خياله، فبحث عن

روبوت متطور. كتب الروبوت في ذلك المقال: أنا روبوت مفكر أستخدم ١٢٪ فقط من قدرتي المعرفية، في هذا الأمر أنا روبوت صغير. «يسمى هذا النوع من الروبوت الصحيحي جي. بي. تي ٣». هو نموذج لغة متطورة يستخدم التعلم الآلي لإنتاج نص يشبه ما يقوم بتحريره الصحفي المهني، يُمكن توظيفه لتحرير مقالات وتقارير صحفية. إذن هل تستطيع المؤسسات الصحفية الكبرى الاستغناء عن الصحفيين المهنيين؟ فالمجال واسع أمام هذا «الحيوان» لأن يلعب دور الموسيقار والمطرب والبائعات في مجمعات التسوق والطبيب والممثل والرسام والروائي والشاعر وهلم جرا. وأخيراً هل يا ترى ستصبح الروبوت سيد الإنسان ويكون هو عبده؟ وهل سيؤدي هذا التطور إلى نهاية عهد الوظائف؟ الباحث الاقتصادي الأمريكي «جيريمي ريفكين» (Jeremy Rifkin) صاحب كتاب (١٩٩٥) End of Work (نهاية عهد الوظيفة) يُنذر بأن البشرية مُقبلّة على حقبة جديدة تتسم بالانخفاض المتواتر والحتمي في عدد الوظائف. «وريفكين» يتوقع اختفاء ثلاثة ملايين وظيفة في فرنسا من الآن حتى ٢٠٢٥ بسبب الأتمتة وفقاً لدراسة قام بها المصيري الفرنسي حكيم القروي لصالح رولاند بيرغر. والحل الذي يقترحه «ريفكين» لهذا المأزق هو تخفيض ساعات العمل بغرض حماية الأيدي العاملة من مجاهل البطالة، بينما يقترح أن تُحدّد ٣٠ أو ٢٠ ساعة أسبوعياً يُشدّد أيضاً على ضرورة فرض قوانين صارمة على الدول الصناعية من أجل أن يتحقق هذا الحل. ومهما كان الأمر يُعتقد عموماً أن الروبوتات مسألة لا تُخطط للسيطرة على البشر.

والفصل الأول في هذا الكتاب يتناول التفاصيل عن دور الروبوتات والذكاء الاصطناعي وما تأتي به من التغييرات الجذرية الهائلة في حياة الإنسان في المستقبل. وبفضل التكنولوجيا قد أحرز النسل الإنساني ازدهاراً فائقاً وملموساً في جميع مناحي الحياة. والهاتف الذكي خير دليل على ذلك.

وهذه الحكاية في الحقيقة أخذها المؤلف من فيلم أمريكي موسوم بـ Her صدر في عام ٢٠١٣. والفيلم مقتبس من قصة علمية خيالية تحمل نفس الاسم. وثمة فيلم في نفس الموضوع صدر في الهند قبل سنتين من صدور فيلم Her بلغة «تاميل» باسم «يانتيان» (الإنسان الآلي)، وفي عام ٢٠١٨ صدر فيلم آخر في الهند باللغة المالايالامية موسوم بـ "Android Kunhappan Version" وفي المشهد الأول في الفيلم المذكور أخيراً يظهر كوب شاي مكتوب عليه كلام العالم المشهور ستيفان هوكينغ الذي يفيد بأن «الذكاء الاصطناعي إذا حقق تطورا كاملا قد يؤدي إلى دمار». بالتركيز على هذه العبارة تنتقل الكاميرا إلى روبوت صغير برمجته ابن عجوز للقيام بجميع الخدمات لوالده، ويدور الفيلم على محور التوتر الذي يتزايد بين هذا العجوز والروبوت.

وهناك نماذج كثيرة من القصص والحكايات الخيالية مما حققها العلم الحديث فيما بعد في أرض الواقع. وفي رواية «من الأرض إلى القمر» (From Earth To the Moon) التي كتبها الروائي الفرنسي جوليوس فون في عام ١٨٦٥ نقرأ عن ٣ أمريكيين يركبون في المكوك الفضائي لينزلوا على القمر. حقق هذا الحلم الرائع نيل أمسترونغ الأمريكي عام ١٩٦٩ بعد ١٠٤ سنوات من صدور هذه الرواية. ونشاهد في فيلم Her تيودار يتعامل مع سامنتا كأنها إنسانة حساسة دما ولحماً. ويمكننا أن نرى بأم أعيننا الآن سامنتا وكثيرا من أخواتها قد خرجن من داخل الشاشة الفضية إلى عالمنا الخارجي. وفي عام ٢٠١٧ قرأنا في الأخبار قصة صوفيا الروبوت الذكي الذي يحمل جواز السفر السعودي. تتميز صوفيا بتفاصيلها التي تشبه البشر إلى حد كبير، علامات الذكاء بارزة على ملامح وجهها وتظهر مشاعرهم المختلفة من خلال تعابير وجهها. وفي سبتمبر الماضي نشرت جريدة الغارديان اللندنية أول مقالة (كانت افتتاحية) كتبها كاملة





## العبودية في الشرق والغرب بيبين براندون، جونو جونز، نانسي جو، وآخرون

سعيد الجبري \*

ليس من المبالغة القول إن أمستردام القديمة قد بنيت إلى حد كبير على دماء وعرق ودموع العبيد في أماكن أخرى من العالم. جاء الرخاء بثمن دفعه مئات الآلاف من الرجال والنساء والأطفال الأفارقة والآسيويين الذين تم تداولهم وشحنهم وتشغيلهم في المزارع كسلع. ويأتي هذا الكتاب في سياق المراجعة النقدية للتاريخ، وهو نتيجة مهمة بحثية منحها مجلس مدينة أمستردام للمعهد الدولي للتاريخ الاجتماعي (IISH) في خريف عام ٢٠١٩، ويقدم رؤى جديدة حول حجم ونطاق ماضي العبودية في أمستردام.

ويوفر البحث أساساً لاتخاذ القرار في مجلس مدينة أمستردام حول الأعداء المحتملة لدور أسلافه في تجارة الرقيق والرق حول العالم. ويظهر الكتاب أن مشاركة أمستردام كانت عالمية تماماً مثل شبكة التجارة التي اشتهرت بها المدينة، وأن المشاركة الإدارية كانت متعددة الطبقات. وقد تراوحت هذه بين المسؤولية الإدارية المباشرة في الماضي وتشكيل الذاكرة وتهميشها في الوقت الحاضر من خلال خلق صورة ذاتية تجاهلت حتى وقت قريب العبودية.

عام منذ تأسيس أول مستعمرة هولندية قائمة على العبودية الكثير من الأسباب للتفكير في هذا التورط في ماضي العبودية، والذي قلل مجلس المدينة من شأنه حتى وقت قريب، بما يقدمه نظرة ثاقبة جديدة حول حجم ذلك الماضي ونطاقه؛ لتعزيز المصالحة مع المستقبل وإعادة تحديد هوية المدينة متخففة دون ثقل الماضي، بحسب ما ورد في قرار مبادرة بلدية أمستردام في سياق تبنيها الاعتراف الرسمي عن دور الأسلاف في العبودية.

ولعل أبرز النقاط التي يشتملها هذا الكتاب تتلخص في الآتي:

- من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر، كانت مدينة أمستردام متورطة في تجارة الرقيق والرق. امتدت تلك المشاركة إلى العالم كله عملياً.

- كان مجلس مدينة أمستردام مسؤولاً عن العبودية التجارية. مباشرة، لأن رؤساء بلديات أمستردام شاركوا في إدارة مستعمرة سورينام، التي كانت مملوكة إلى حد كبير للمدينة. بشكل غير مباشر، لأن رؤساء بلديات أمستردام شغلوا مناصب إدارية في شركة الهند الشرقية الهولندية (VOC) وشركة الهند الغربية (WIC).

- العديد من رؤساء البلديات وأعضاء المجالس في أمستردام (كان مجلس المدينة هو حكومة المدينة في وقت الجمهورية) استثمروا في سفن الرقيق وعمل العبيد، على سبيل المثال في المزارع. وغالباً ما كانت المصالح التجارية والمسؤولية الإدارية تسير جنباً إلى جنب.

كانت متورطة بشكل مباشر وعالمي وواسع النطاق ومتعددة الاستخدامات وطويلة الأجل في تجارة الرقيق والرق.

وبحسب رئيس فريق الباحثين بيبين براندون -الباحث الأول بالمعهد الدولي للتاريخ الاجتماعي، والذي ينصب جهوده العلمية على تاريخ الرأسمالية، والحرب والتنمية الاقتصادية، والعبودية؛ لم يتم إجراء مثل هذا الاستكشاف الميداني الواسع من قبل. يدور البحث حول أسئلة حول كيفية مشاركة مجلس مدينة أمستردام في تجارة الرقيق والرق في منطقة المحيط الأطلسي وآسيا، وكيف ترجم هذا الدور إلى تأثير ذلك الماضي في مدينة اليوم. وتظهر مساهمات الباحثين مجتمعة مدى اتساع المشاركة الإدارية لأمستردام في العبودية، شرقاً وغرباً، وما تركه ذلك من آثار عميقة في المدينة.

وهناك أضواء كثيرة في فصول الكتاب على أدوار شركة الهند الشرقية الهولندية VOC وشركة الهند الغربية WIC، في العبودية وتجارة العبيد في آسيا وأفريقيا، إلى جانب أضواء أخرى على سورينام والبرازيل وأمريكا الشمالية وكوراساو. إذ كانت أمستردام متشابكة مع تجارة الرقيق في جميع أنحاء العالم. وهناك رسم في نهاية الكتاب لخطوط الحاضر، وهي تتعلق بالوعي المتزايد بالماضي، والاعتراف بهذا الدور في العبودية، والعنصرية أيضاً.

تُظهر الفصول كيف استفادت مدينة أمستردام ونخبها السياسية من العبودية لعدة قرون، من تجارة الرقيق والسخررة اقتصادياً. ولعل لهذا الجهد العلمي بعد ٤٠٠

كما يُظهر أيضاً أنه في أوائل العصر الحديث، وإضافة إلى الأدلة الذاتية المعاصرة، كان هناك أيضاً نقد معاصر أو على الأقل عدم ارتياح تجاه العبودية. فضلاً عن كشفه أن تجاهل ماضي العبودية كخطأ أو حدث مأساوي أثار أخيراً مناقشة واسعة تحت ضغط من احتجاجات Black Lives Matter في أواخر ربيع عام ٢٠٢٠.

ويتكون الكتاب من سبعة أقسام وثمانية وثلاثين فصلاً، شارك فيه فريق من أربعين باحثاً من هولندا وخارجها. ونوقشت فيه محاور: أمستردام كمركز للسلطة، ودور المصالح الخاصة، والعواقب على المجتمعات في جميع أنحاء العالم، والقهر، والقانون والمقاومة، ومناقشة العبودية من القرن السابع عشر وبشكل مكثف من نهاية القرن الثامن عشر وأخيراً النهج العام للعبودية في أمستردام اليوم. ولا يقتصر هذا البحث على تجارة الرقيق في المحيط الأطلسي فحسب، بل يدرس أيضاً تجارة الرقيق في الشرق ويخصص أوجه التشابه والاختلاف.

ويستخلص القسم التمهيدي الاستنتاجات التي تعتبر الثلاثة الأولى منها الأكثر أهمية تاريخياً: الأول: لعب مديرو مدينة أمستردام دوراً فعالاً في تجارة العبيد والرق في الشرق والغرب. والثاني: كان تورط أمستردام في العبودية عالمياً تماماً مثل الشبكات التجارية التي جعلت المدينة مشهورة عالمياً. والثالث: كان تورط أمستردام الإداري في العبودية اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وثقافياً وعقلياً بطبيعته. فضلاً عن أن الاستنتاج الرئيس للكتاب هو أن إدارة أمستردام



تقدية إلى نفسها في المرأة. مع أنه يمكن للبشر الأحياء أن يختبئوا وراء جهل أسلافهم - الذين كانت العبودية بالنسبة لهم جزءاً من النظام الطبيعي للأشياء. فلطالما كانت العبودية مثيرة للجدل؛ لذلك كان من الضروري دائماً تبريرها بحجج عرضية، إما من الكتاب المقدس أو من النظريات العرقية التي ظهرت خلال عصر التنوير، إذ لم تكن العبودية مرتبطة بالنسبة فحسب، بل كانت مرتبطة أيضاً بالرجل العادي والمرأة. غير أن من اللافت أن أمستردام قد أخذت زمام المبادرة في هذا السياق، ومن ذلك إعادة النظر في **Zwarte Piet**، حتى عندما كانت بقية البلاد لا تزال تهز رؤوسها. فهي أيضاً المحرك الرئيس والممول للاحتفال الوطني لإلغاء العبودية. ولعله في هذا الصدد، ينبغي ألا يكون مفاجئاً أن تكون أمستردام هي الأولى في البلاد التي تبادر بتمويل مسح ميداني للبحث في ماضي عبوديتها، ثم تعتذر عن خيارات المديرين الذين حكموا منذ مئات السنين، إلى جانب اتخاذ مجلس المدينة خطوات أخرى خاصة في مجال الرموز الاستعمارية، فمتحف العبودية في طور التكوين، وهناك قائمة بأسماء الشوارع لمقاتلي الحرية في المستعمرات السابقة، والاعتذار فتلك كلها رموز مهمة، تشهد على تغيير وجهة النظر تجاه الماضي بطرق مختلفة.

كتاب «العبودية في الشرق والغرب» شامل ولكنه سهل القراءة للغاية؛ يمكن الوصول إلى جميع المساهمات بسهولة. وعلى الرغم من أنه ليس تاريخاً منهجياً مستمراً، إلا أن المساهمات تكمل بعضها البعض بشكل جيد وتشكل مجتمعة صورة واضحة للعبودية ودور أمستردام فيها، إلى جانب العديد من الرسوم التوضيحية.

.. الكتاب: "العبودية في الشرق والغرب".

.. المؤلفون: بيبي براندون، جونو جونز، نانسي جو، وآخرون.

.. الناشر: Spectrum، بالهولندية.

.. عدد الصفحات: 448 صفحة.

\* كاتب عربي مقيم في هولندا



حصون على طول ساحل بنين والسنغال وغانا. على سبيل المثال، قامت غرفة أمستردام بتزويد الأصفاد التي يمكن من خلالها تأمين الأشخاص المستعبدين المتمردين.

من بين ٣٧٤ عمدة وعضو مجلس محلي في أمستردام حكموا المدينة من أواخر القرن السادس عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر، كان نصفهم تقريباً مديريين لـ **VOC** أو **WIC** أو جمعية سورينام، وقد لعب الثلاث دوراً مهماً ومباشراً في تجارة الرقيق. كان لرؤساء بلديات أمستردام مصالح شخصية في العبودية واستخدموا مناصبهم لحماية وتبرير تجارة الرقيق.

وقد امتدت تجارة الرقيق إلى الأطفال أيضاً. وتُظهر العقود المبرمة من قبل التجار في أمستردام، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، أنهم أمروا القباطنة ببيع ٣٢٠ عبداً شاباً مقابل ما لا يقل عن ثمانين إلى مائة ألف خيلدر، وتلقى القادة عائدات كبيرة. وفي عام ١٧٥٣، أسس رئيس بلدية أمستردام صندوق استثمار للمزارع في المستعمرات. وساهم المستثمرون بالمال لإنشاء أو توسيع المزارع. وكان تدفق الأموال من خلال مدير الصندوق الذي وعد مستثمريه بعائد مرتفع. كان تأسيس مزرعة أمراً مكلفاً، بسبب تكلفة العبيد الذين يمثلون عادةً ثلث قيمة المزرعة.

لعل ذلك السجل السيئ يبدو الآن على نحو مفارق لمدينة تفتخر بتاريخ طويل من الحرية والتسامح، ولعله من المناسب أيضاً أن تلقي أمستردام نظرة

- روج الحكام لمصالح مالكي العبيد وموقف أمستردام في تجارة السلع المنتجة في العبودية. ونقل التجار الأوروبيون أكثر من ١٢.٥ مليون من الأفارقة المستعبدين إلى أمريكا الشمالية والجنوبية، وربما نقل تجار الرقيق الهولنديون أكثر من ٦٠٠٠٠٠. وقدرت حصة أمستردام في تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلسي بحوالي ١٣٥٠٠٠ مستعبد، منهم ما يقرب من ٢٠٠٠٠ لم ينجوا في أثناء العبور.

- عارض وجهاء أمستردام السياسيون والاقتصاديون في القرن التاسع عشر إلغاء الرق.

- ساعدت حكومة المدينة في تهميش ذكرى العبودية من خلال نشر صورة ذاتية تاريخية تجاهلت العبودية حتى وقت قريب جداً.

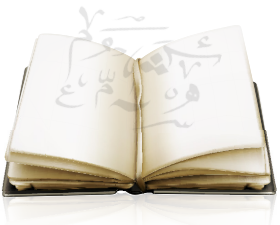
ومن الأمثلة التي يمكن الإشارة إليها في سياق ماضي العبودية:

إرسال شركة (Compagnie van Verre)، التي أسسها تسعة تجار من أمستردام، أسطولاً بقيادة كورنيليس دي هوثمان إلى آسيا. وقدم الواعظ والجغرافي في أمستردام بيتروس بلانسيوس خرائط الرحلة.

في ١٧٠٧ اندلع تمرد في مزرعة جونا وبيتسن، سكرتير مدينة أمستردام، وابن شقيق الوصي الشهير نيكولايس وبيتسن، الذي كان عمدة المدينة ثلاث عشرة مرة وشارك في **VOC** و **WIC** وجمعية سورينام التي تحكم الأرض والمزارع. وكان سبب التمرد أن جونا وبيتسن ألغى يوم السبت الحر وزاد ساعات عمل المستعبدين. تم قمع التمرد بالقوة وحكم على القادة بالإعدام. ثم كان لا بد من تعليق الرؤوس على العصي، باسم الولايات العامة وجمعية سورينام التي كانت بلدية أمستردام شريكة في ملكيتها.

في مجلس **VOC** كان لمديري أمستردام الصوت الأكثر أهمية؛ إذ تم في عام ١٦١٥ العمل بنصيحة تجار من أمستردام بـ«تدمير» جاكركا والإبادة الجماعية في جزر باندا؛ حيث قتل أو طرد ما بين ١٠٠٠٠ و ١٥٠٠٠ نسمة. وتم بعد هذه المذبحة تكييف الاقتصاد في باندا مع العبودية. جعلت جوزة الطيب من أمستردام مركزاً أوروبياً في تجارة التوابل.

في وقت إنشاء شركة الهند الغربية الأولى (١٦٢١-١٦٧٤)، كان قسم أمستردام هو الذي طور البنية التحتية لتجارة الرقيق. وتم إرسال المفاوضات إلى إفريقيا لطلب الإذن من الأمراء المحليين لبناء



## روح الثقة: قراءة في فينومينولوجيا الروح لهيغل روبرت براندوم

علي الرواحي \*

صدر هذا العمل بعد انتظار طويل دام لقرابة ٤٠ عاماً؛ فمنذ العام ١٩٨٠م كان روبرت براندوم، بالرغم من الأعمال المختلفة التي أصدرها منذ تلك الفترة، وربما أهمها "Making It Explicit" جعلها صريحة في عام ١٩٩٤م، يتحدث عن خطاطات هذا العمل في محاضراته، وندواته المختلفة سواء على المستوى الأكاديمي في جامعة بيتسبرج Pittsburgh في الولايات المتحدة الأمريكية، أو عند إقامة سلسلة من المحاضرات المختلفة في جامعات أخرى.

لهيغل (ديكارت ولوك، على سبيل المثال)، والتي غالباً ما كانت تعتبر تأكيداً كنوع من الصورة، ويُزعم أن تقييمها لبلوغ الحقيقة من خلال ما إذا كانت الصورة تتطابق مع حقيقة واقعية في علاقة مباشرة.

من الواضح في هذا السياق، أن براندوم يذهب إلى نظرية تماسك الحقيقة، أو حتى إلى نوع من المثالية اللغوية والنسبية التي غالباً ما ترتبط بالفيلسوف الأمريكي ريتشارد رورتى. يهتم براندوم بالرد على مثل هذه الانتقادات، ولا يصل لحد رفضها. حيث يؤكد على التشابه الضروري بين ما هي الأشياء في نفسها وما هي حاضرة للوعي؛ كما يرى أن الكون نفسه منظم من الناحية المفاهيمية، أو على الأقل أننا لا نستطيع فهمه على أنه غير موجود، في العالم المادي، وليس فقط في العقل، إذ لا شيء يمكن أن يكون أزرق بالكامل ومخطط بشكل بياني بالكامل أيضاً. في الجانب الآخر المتصل بهذا السياق، يعتبر موقف براندوم بشأن علاقة الذكاء البشري بالعالم الحقيقي أمراً 'معقداً' ولا يمكن التقاطه بالكامل في هذا الفضاء، ونادراً ما يهتم أي فيلسوف معاصر بهذا الموضوع بهذا الشكل الكبير. هذه أيضاً واحدة فقط من عشرات الأطروحات الأساسية المتداخلة التي تم طرحها واستكشافها بعناية في هذا العمل، كما تطور براندوم مواقف أصلية بشكل أساسي مع التداخليات المختلفة على كل شيء من نظرية السرد إلى مشكلة الإرادة الحرة إلى طبيعة الدولة السياسية. فهو ينسب هذه المواقف والأفكار عموماً إلى هيغل، كما يستعيد طبيعة «الديالكتيك التاريخي» من كتاب فينومينولوجيا الروح، على سبيل المثال - ويجمعها في نظام متماسك بشكل كبير.

واحدة من أكثر الأفكار الأساسية التي استخلصها براندوم من هيغل هي أننا لا نستطيع، في الوقت الحالي، أن نعرف بالضبط ما نعنيه، تماماً كما لم يكن من الممكن أن يعرف الأشخاص العطشى في العصور السحيقة، برغبتهم لبعض الماء، أنهم أرادوا في نفس الوقت المركب الكيميائي H<sub>2</sub>O. عندما يتم توضيح المفاهيم بمرور الوقت، نصل إلى رؤية المزيد حول ما نعنيه بالفعل. وهذا يستلزم أن المعاني لا

تميز ما يلي: 'بحسب الحكم على أنه يعبر عن بعض الأشياء التي تم تمثيلها، و كما يقول في صياغة مشابهة، 'يقدر ما يكون مسؤولاً عن هذا الموضوع، وعن صلاحيته، يمارس هذا الكائن سلطة أو يعمل كمعيار لتقييم صحته'. هذا العمل يُركز إلى حد كبير على الجانب المعياري وعلاقته بالصحة والخطأ من جانب، والمعنى من الجانب الآخر. كما يعالج أيضاً التمثيل Representation؛ ذلك أن تمثيل شيء معين بطريقة معينة، أو تقديم ادعاء معين بشأنه، يحمل في طياته سلسلة من الآثار المنطقية. فعند الإشارة إلى أن السماء زرقاء في يوم مشمس، لا يمثل المرء فقط حقيقة منفصلة عن نطق معين، ولكنه أيضاً يلزم نفسه بعلاقة كاملة من العلاقات المنطقية التي تعبر عنها الجملة أو تتضمنها ضمناً. سواء كنت تدرك ذلك تماماً أم لا، فالشخص ملتزم أيضاً بالادعاء بأن السماء ليست مخططة أو ليست رسماً بيانياً، كما أن الشخص ملتزم بالادعاء بأن السماء هي نوع من الأشياء التي يمكن تلوينها (على عكس العدالة، على سبيل المثال). سننظر إلى الشخص الذي يعتقد أن السماء زرقاء ولكنها ليست ملونة على أنه غير عقلائي بشكل واضح، وكذلك إلى الشخص الذي يتجاهل باستمرار الالتزامات التي تنطوي عليها تأكيدات أو أقواله بأنه مريض عقلياً أو ليس متحدداً كقواً للغة. فإذا كنت تدعي أن السماء زرقاء وليست ذات ألوان مختلفة، فأنت لا تقول شيئاً خاطئاً فحسب - إنك تُظهر أنه ليس لديك المفاهيم ذات الصلة («الأزرق» و «اللون») على الإطلاق. على الأقل، أنت تنتهك التزاماتك المنطقية. حيث أصبحت قدرة أي شخص على قصد أي شيء ممكنة من خلال الممارسات الاجتماعية التي تلزم الناس بمثل هذه القواعد العقلانية المتعلقة بالاستدلال وعدم التوافق. هذا النهج، كما يوضحه براندوم، مدين بالكثير للمسار الكانطي، وبشكل خاص لفتنغشتاين.

بالنسبة لبراندوم، مسألة ما إذا كانت جملة معينة صحيحة، لا يمكن فصلها عن المعايير العقلانية حول ما يمكن قوله أو تصديقه. يتناقض هذا التفسير للواجب، كما يقول براندوم، مع الكثير من التقاليد الفلسفية الغربية السابقة

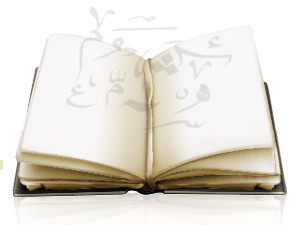
يتكون هذا العمل من مقدمة قصيرة، وثلاثة فصول، يحتوي كل فصل منها على عدد كبير من العناوين الفرعية، حيث نُشر بعضها على فترات متفاوتة باللغة الألمانية في عام ٢٠١٥م، مما أكسب العمل شهرة عالمية، واحتفاءً واسعاً حتى قبل صدوره، ليس على الجانب التحليلي فقط، بل ضمن الجانب القاري أيضاً، الذي ظل لفترة طويلة يناقش الكثير من القضايا والمواضيع ضمن مراجعه، ومناطقه الخاصة به.

تكمُن أهمية هذا العمل ليس فقط في أنه يناقش العمل المركزي في الفلسفة المثالية الألمانية، فينومينولوجيا الروح لهيغل، بل كيفية مناقشته، وطريقة الحوار معه، والأدوات الجديدة، وغير المسبوقة المستخدمة في جوانب هذا الحوار الفلسفي الرفيع. عمد براندوم في هذا العمل، كما يقول في أكثر من مناسبة، لثب حياة جديدة في الفلسفة التحليلية، البراجماتية، وفي نفس الوقت المثالية الألمانية، وذلك عن طريق تطعيم كل واحدة منها بعناصر الفلسفة الأخرى، بالعودة إلى المصادر الأساسية لكل تيار: كانط، هيغل، هايدغر، من جهة، وفتنغشتاين، برتراند رسل، مور، رورتى، جون ماكديويل، وغيرهم من الجهة الأخرى. لذلك يتطلب الغوص في هذا العمل المعرفة الجيدة، والفهم العميق بأعمال ومراجع التيارين السابقين، بشكلٍ تفصيلي إلى حد ما.

كما يتطرق في المقدمة بشكل مُفصل، وثرى، إلى تأثير كانط الكبير على هيغل، من الجانب المعياري، وأهميته، حيث أن الفهم الكانطي للحكم والقصدية، كان عاملاً أساسياً في تطوير مفاهيم صاحب فينومينولوجيا الروح، مثل سلطة المواضيع الخطابية التي تتأسس عن طريق الإلتزام بكيفية قول الأشياء، والقيام بها.

الفكرة الأساسية في هذا العمل هي أن أفكار براندوم كانت تتطور منذ عقود. حيث صاغها بشكل أكثر تفصيلاً في كتابه الصادر عام ١٩٩٤ بعنوان «جعلها صريحة»؛ فالعنى اللغوي بالإضافة إلى الحقيقة والخطأ هي في الأساس مسألة معيارية. ذلك أن نظريته الدلالية تكمن في لغة الإلتزام والنهي والسلطة والمسؤولية، فهو يقول بشكل





في الجانب الآخر، فالمطلوب هنا معرفة الطريقة التي إذا أردنا بها إنشاء معايير ملزمة حقاً، والممكن اعتبارها وسيلة للدفاع عن أولئك الذين نؤيدهم الآن، لاعتبارهم موضوعيين. حيث يتم القيام بذلك، كما يرى براندوم، من خلال «إعادة بناء» التجربة الاجتماعية بأثر رجعي، تلك التي أدت إلى تأييدنا الحالي لقاعدة معينة، أو لمعيار معين. وعلى وجه التحديد، يتعين علينا إعادة بناء العملية السابقة لوضع معايير جديدة - من خلال تجربة الخطأ و «إصلاحه»، حيث أصبح المعيار الذي نؤيده الآن أكثر وضوحاً بشكل تدريجي وبالتالي تم وضعه. وهذا بدوره يتطلب منا أن نعتبر أن هذا المعيار يحكم ضمناً إدراكنا «بشكل مستمر»، وبهذا المعنى يمكن أن يكون «موضوعياً». كما نلاحظ أن إعادة البناء هذه التي تقوم على طريق الذاكرة للتجربة لا تتيح لنا الوصول المباشر إلى «الحقيقة». إنها، بالأحرى، تساعدنا على معرفة كيف نفهم أنفسنا الآن لنعرف شيئاً ما أنه موضوعي: لأننا نعتبر معيارنا المقبول حالياً موضوعياً من خلال اعتبار أنه قد تم التوصل إليه عن طريق عملية وضع معايير جديدة. ومن خلال هذا التذكر، بالتالي، نبرر لأنفسنا الواقعية المفاهيمية المتوفرة لدينا؛ والفرضية القائلة بأن هذا الأخير يتطلب الأول هو ما يسميه براندوم «المثالية المفاهيمية» (ص 369). مثل المثالية الموضوعية، لا تدعي المثالية المفاهيمية أن العالم موجود فقط بقدر ما نقوم بفعل شيء ما. بل فقط عن طريق القيام بشيء ما - إعادة بناء تجربتنا بشكل استرجاعي على أنها مستقبلية - إذا أردنا أن نأخذ أنفسنا لمعرفة العالم. وبالتالي فإن المثالية المفاهيمية ليست ما يسميه هيغل مثالية «ذاتية»، بل هي بالأحرى أطروحة براغماتية حول الإدراك، كما يذهب براندوم لذلك ضمناً. ختاماً، يحتمل هذا العمل الكثير من القراءات المتباينة، وربما المتعارضة، غير أن الأكد أنه يوضع حسب رأي الكثير من المشتغلين بالحقل الفلسفي بشكل عام، ضمن كتب أو أعمال فلسفية مؤثرة، وتاريخية مثل أعمال سبينوزا، هيوم، كانط وغيره من الفلاسفة، الذين ساهموا في دفع التفكير، والحركة الفلسفية لمناطق غير مأهولة، ومواضيع تبدو عسيرة على الكثيرين خارج هذا المجال.

• الكتاب : روح الثقة: قراءة في

فينومينولوجيا الروح لهيغل

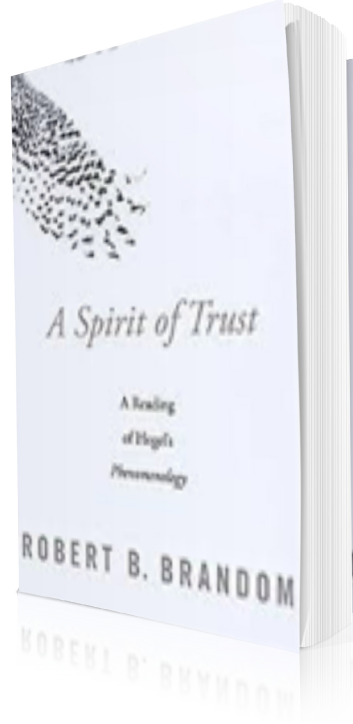
• المؤلف : روبرت براندوم، 2019م

• الناشر: Harvard University Press . الناشر:

• عدد الصفحات: 856 صفحة.

• لغة الكتاب: الإنجليزية.

\* كاتب عماني



أن يتم تأسيسها، فإن الأوضاع المعيارية (والمعايير التي يتم توجيهها أيضاً) تربطنا وتتطلب منا القيام بأشياء معينة: إصدار هذه الأحكام أو تنفيذ هذه الإجراءات. وبالتالي، يتمثل نشاطنا المعياري في إخضاع أنفسنا لسلطة المعايير التي نخلقها بأنفسنا.

يضيف براندوم أن العلاقات المعيارية بين «الممثلين والمواضيع التي يتم تمثيلها» أي الأشياء المعروفة ومعرفتها - هي حالة خاصة خاضعة لسلطة الأوضاع المعيارية على المواقف. وبالتالي، فإن الادعاء بمعرفة شيء ما هو إسناد مكانة معينة لأنفسنا - حالة الالتزام بما نعرفه. ومع ذلك، فإن هذا الوضع، مثله مثل جميع الأوضاع الأخرى، يتم تأسيسه من خلال مواقفنا المعيارية. فالمعرفة إذن ليست مجرد إيجاد أنفسنا، بل هي اعتبار أنفسنا مقيدتين بالواقع، وفي الواقع اعتباره بطريقة معينة. في الجانب الآخر، فالمفاهيم التجريبية التي نحكم على أنها موضوعية تمت صياغتها رداً على «تقارير المراقبة غير التفاضلية» - لما نتصور - لكنها ليست مجرد قراءتها من العالم، ذلك أنه يتم تأسيسها من خلال مواقفنا وممارساتنا. ولكن كيف يمكننا الالتزام بالمعايير والأوضاع المعيارية التي نؤسسها بأنفسنا؟ يدعي براندوم أن هذا أصبح ممكناً من خلال «التقسيم الاجتماعي للعمل». وهذا يعود، بحسب المثال الذي يذكره براندوم، حول التساؤل ما إذا كانت العملة مصنوعة من النحاس؛ ولكن إذا تأكدت من ذلك، فإن ما ألتزم به، لا يتوافق معه وما هي عواقبه، بل يتم إدارته من قبل أولئك الذين منحتم هذه السلطة من خلال الاعتراف بهم كخبراء في علم المعادن. وهكذا يتم وضع القواعد كمعايير ملزمة في العمليات الاجتماعية - العمليات التي تنطوي على ادعاءات من قبل البعض وتقييم تلك المطالبات من قبل الآخرين، وكذلك الاعتراف المتبادل بين الأفراد المعنيين.

يمكن أن تنشأ بالكامل إلا بأثر رجعي. وذلك كما هو واضح في صياغة هيغل الشهيرة «تخلق بومة مينيرفا بجناحيها فقط مع حلول الظلام»، يمكننا أن نعرف ما هو الشيء أو محتوى المفهوم فقط عندما يتم الانتهاء من هذا العنصر أو المفهوم بحكم كونه مطوراً بالكامل أو صريحاً. إن التاريخ التدريجي الذي نعرف من خلاله ما نعنيه ومن ثم نقرب من الحقيقة مبني بشكل أساسي وهيكل على مفاهيمنا منذ البداية.

تعتبر الكثير من أفكار براندوم مستمدة أو متوافقة بشكل كبير من الفيلسوف الأمريكي ريتشارد رورتي، غير أن نظرية براندوم عن المعنى والحقيقة (ومن ثم العقل والواقع لغوية بشكل كبير، وعلى الرغم من أنه يحاول التخلص من هذا التناسل بعدة طرق - بشكل أكثر شمولاً مما فعل رورتي على الإطلاق - لا يبدو أن لها مكانة مبدئية للواقع خارج اللغة. في الواقع، فإن فكرة «الواقع خارج اللغة» تظهر فقط كافتراضات مسبقة لممارسات لغوية معينة، وليس كاعتراف صريح بأننا كائنات حية تعيش في بيئة مادية: -فكرة وجود طريقة لتكوّن الأشياء بشكل محدد، في حد ذاتها - أي بشكل مستقل عما هي عليه بالنسبة لنا يعتبر عنصراً بنويو أساسياً لمفهوم الوعي النظري والعملية. كما أنه ليس هناك بالضبط، أو ليس على الإطلاق، نفس التأكيد على وجود عالم مستقل بالفعل عن طرق تفكيرنا به.

من جانب آخر، يصبر براندوم على ما يسميه «الاستدلال المادي» أي بمعنى آخر، تحديد «الشروط المتعالية لإمكانية وجود معايير مفاهيمية محددة المضمون» (ص 522). حيث يبدأ من «الجانب غير النفسي للمفهوم» (ص 50). فهو يفكر بشكل مستمر في المفاهيم التجريبية وليس المنطقية فقط، حيث ترتبط هذه الأخيرة أيضاً ارتباطاً استنتاجياً، لكن المفاهيم التجريبية تقف في علاقات الاستدلال المادي، لأن محتوياتها التجريبية تكتسب الحتمية من خلال استبعاد المحتويات الأخرى وإدراجها. من وجهة نظر براندوم، هذا ما يعنيه هيغل بقوله أن المفاهيم مرتبطة بـ «النفي المحدد» و«الوساطة».

ومع ذلك، فإن براندوم مهتم ليس فقط بالعلاقة بين المضامين المفاهيمية الموضوعية والذاتية، ولكن أيضاً بالعلاقة بين السمات المعيارية المختلفة لموضوعات المعرفة (والتمثيل)؛ حيث يميز بشكل خاص بين «المواقف المعيارية (القيام بشيء ما) و «الأوضاع المعيارية (الوجود أو امتلاك شيء ما)». وتشمل الأخيرة الالتزام أو «المسؤولية» بمفهوم أو معيار؛ فالأول يتضمن إسناد مثل هذه الأوضاع للآخرين أو الاعتراف بها في نفس الوقت (ص 709). كما أن ادعاء براندوم «البراغماتي» الذي يذهب إلى أن الأوضاع المعيارية ليست مجرد أشياء يتبين أننا نمتلكها، ولكنها نشأت أو «تم تأسيسها» من خلال مواقفنا وممارساتنا المعيارية. لذلك نحن لسنا مسؤولين، لكننا سنصبح مسؤولين من خلال اعتبار أنفسنا والآخرين كذلك. وبالرغم من ذلك، بمجرد



## حكومة أكبر: مستقبل الإنفاق الحكومي في الاقتصادات المتقدمة.. مارك روبنسون

محمد السالمي \*

تتجه الدول المتقدمة إلى حقبة جديدة من الإنفاق الحكومي، حيث من المقرر أن يرتفع الإنفاق بشكل كبير خلال العقود الثلاثة القادمة. ستضطر الحكومات إلى إنفاق مبالغ كبيرة على إصلاح البنية التحتية المتعثرة وضمان الوصول إلى الرعاية طويلة الأجل لكبار السن من السكان ومكافحة الاحتباس الحراري. كما كشفت جائحة كورونا أن النظام الصحي يحتاج أيضاً لإصلاح مواطن الضعف فيه، دون أن نتجاهل تكاليف الطب الحديث، وإدخال وتطوير التقنيات الجديدة.

للارتفاع. وقد أبدت كثير من المؤسسات ذات الصيت هذا التوجه أبرزها صندوق النقد الدولي عندما حذر من أن البرامج المتعلقة بالعمر مثل «الصحة والإنفاق على المعاشات التقاعدية» ستكون المصادر الأكثر عرضة للضغط على الميزانيات الحكومية على المدى الطويل. كما أكد صندوق النقد الدولي منذ سنوات عديدة تأكيده على الدرجة العالية المفترضة من حساسية الإنفاق الصحي للشيخوخة الديموغرافية. يرى روبنسون عامل الشيخوخة ثانوياً في رفع الإنفاق الصحي، ولا يتفق على ما يتم الترويج له.

يكن القول في الارتباط الوثيق بين الأمراض المزمنة بالعمر، مثل مرض السكري وارتفاع ضغط الدم وأمراض الكلى المزمنة. يعاني كبار السن من هذه الحالات أكثر بكثير من الأشخاص الأصغر سناً. ومن هنا، تم تفسير هذه الحقيقة المباشرة في بعض الأحيان على أنها تعني أن الدافع الرئيسي للزيادة السريعة في الإنفاق على علاج الحالات المزمنة يكمن في شيخوخة السكان. هذا يفنق لنقطة حاسمة كما يرى روبنسون، حيث لعب التقدم في القدرات التكنولوجية للطب دوراً كبيراً في زيادة متوسط الأعمار التي شهدتها الدول المتقدمة. إن ارتفاع متوسط الأعمار الذي حدث في البلدان المتقدمة خلال نصف القرن الماضي غير مسبوق على الإطلاق في تاريخ البشرية. يوضح الكتاب الدور الكبير الذي لعبه التقدم الطبي في هذا الأمر. علاوة على ذلك، لعب الطب الحديث في الحد بشكل كبير من الوفيات المبكرة الناجمة عن أمراض القلب والأوعية الدموية. ويؤكد المؤلف أنه من الخطأ تفسير الدرجة العالية من الارتباط بين زيادة متوسط الأعمار وانتشار الأمراض المزمنة كدليل على أن شيخوخة السكان هي السبب الحقيقي للمشكلة.

تطرق الكتاب أيضاً لموضوع زيادة الإنفاق للحد من الفقر. يعتقد الكثيرون أن دعم الدخل والمتضمن في مزايا الرعاية الاجتماعية مثل إعانات البطالة،

الرئيسي هو في شيخوخة السكان، بل سيكون الدافع الحقيقي للإنفاق هو التوسع السريع في القدرات الطبية والمتمثلة في التكنولوجيا الطبية. نحن الآن في المراحل الأولى من عصر التوسع السريع في القدرات التكنولوجية للطبية. ونقطة الانطلاق في ذلك هي ثورة العلوم الحيوية والتي تعمل بشكل تدريجي على تعميق فهمنا للأساس الجزيئي للمرض. وقد شهدت السنوات الأخيرة بالفعل وصول أعداد متزايدة من الأدوية الدقيقة والجديدة على الساحة. على سبيل المثال، سوف يستخدم في المستقبل تكنولوجيا الأعضاء والأنسجة البديلة المزروعة من خلايا المرضى. سوف يساعد ما يسمى بالزراعة الذاتية في التغلب على مشكلة رفض الأعضاء المانحة «الأجنبية»، وكذلك النقص المستمر في الأعضاء المانحة.

هذه التحولات في تقنيات العلاج ستقدم فوائد ضخمة للمرضى من حيث الدقة والعلاجات المخصصة. من جهة أخرى، هذا التوجه سيؤثر بشكل كبير على الإنفاق الصحي الحكومي. إن الطريقة الوحيدة الممكنة لتجنب زيادة الإنفاق، هي في تقليص نطاق وتغطية الخدمات الصحية التي تمولها الحكومة بشكل كبير. لكن هذا سيكون صعباً للغاية من الناحية السياسية. فالسياسيون ومسؤولو الميزانية قلقون بشكل مفهوم بشأن كيفية تغطية زيادة الإنفاق الصحي، كما أن احتواء الإنفاق لا ينبغي أبداً أن يكون المحور الأساسي للسياسة العامة. يجب أن يكون الشاغل الرئيسي هو ضمان وصول المواطن إلى الفوائد العظيمة التي تقدمها التطورات الطبية. إن القيام بذلك سيكلف الحكومات أكثر، ولن تكون قادرة على مقاومة ضغوط الإنفاق.

هناك فكرة واسعة الانتشار مفادها أن الشيخوخة الديموغرافية ستكون العامل الأبرز والأكثر أهمية في دفع الإنفاق الصحي على مدى العقود القادمة

في المقابل، تهدد الرؤية المشتركة للإنفاق العام بدفع عجز الميزانية والدين الحكومي إلى السقف (للحد الأقصى). وبالتالي، ستكون الزيادات الضريبية ضرورية، خاصة في الولايات المتحدة ذات الضرائب المنخفضة. في مواجهة هذا الواقع، يأتي مارك روبنسون ليقيم بشكل صادق وواضح المستقبل المالي الذي ينتظر البلدان المتقدمة في استجابتها للتغيرات في الرعاية الصحية ودعم الدخل وعجز البنية التحتية وغيرها من بنود الإنفاق العام. يشير الكتاب إلى أن الطريقة التي سيتم بها دفع الإنفاق الحكومي في جميع الدول المتقدمة إلى الارتفاع خلال العقود القادمة يتمثل في الصدمات الخارجية القوية والقوى المستقلة عن التوجهات الفلسفية للقادة السياسيين والأحزاب.

وللتعريف بالمؤلف، فمارك روبنسون هو خبير دولي في شؤون المالية العامة. وقد نشر روبنسون العديد من الكتب والدراسات والمقالات حول قضايا الميزانية الحكومية. تم تضمين هذا الكتاب «حكومة أكبر» في قائمة الفايينشال تايمز لأفضل الكتب لهذا العام.

تطرق روبنسون لعدد من المواضيع في كتابه أبرزها الإنفاق على القطاع الصحي والذي خاض فيه بإسهاب. تواجه جميع البلدان المتقدمة احتمال حدوث زيادات كبيرة في الإنفاق الحكومي في هذا المجال. حيث تشير التوقعات إلى أن الإنفاق الصحي الحكومي سيرتفع بنسبة 4% على الأقل من الناتج المحلي الإجمالي في الدول المتقدمة على أساس سنوي حتى منتصف هذا القرن، حسب وصف المؤلف. لا ريب أن هناك وعياً من الجميع بالحاجة إلى إنفاق إضافي لتعزيز الأنظمة الصحية الوطنية في ضوء مواطن الضعف التي كشفت عنها الاستجابة لجائحة كورونا؛ إلا أن هذا ليس السبب الرئيسي وراء التخطيط لزيادة الإنفاق الحكومي على الصحة بشكل كبير على المدى الطويل. بالإضافة إلى ذلك، لن يكون السبب



هذا في جانب واحد. وبالطبع، هناك نقطة منفصلة تمامًا وهي أن دولاً تم إنقاذها مثل اليونان وأيرلندا قد شهدت بالفعل تخفيضات كبيرة جداً في الإنفاق خلال العقد الماضي. لكن من السخف إجراء مقارنة بين التخفيضات المتأرجحة المطبقة في هذه البلدان وسياسة الميزانية في معظم البلدان المتقدمة.

إن التركيز غير المبرر على التقشف كمصدر للضغط على الميزانيات الحكومية في البلدان المتقدمة بشكل عام في السنوات الأخيرة أمر خطير لأنه يعزز الاعتقاد بأنه إذا توقفت عن الهوس بالعجز الحكومي ومستويات الديون، فإن الصعوبات في تمويل الرعاية الصحية والخدمات الحيوية الأخرى من شأنها أن تتبخر. لكن من أجل المزيد من الحوافز الاقتصادية ونظرة أكثر استرخاءً للعجز أثناء الأزمة الاقتصادية، نجادل أن الحكومات يمكنها وينبغي لها أن تعاني من عجز كبير في كل وقت، والقيام بذلك سيكون أمراً خطيراً وغير مسؤول، والحقيقة هي أنه بالنظر إلى حجم ضغوط الإنفاق على الميزانيات الحكومية في العقود القادمة، يجب اتخاذ خيارات صعبة وقد تفضي إلى ضرائب أعلى، أو تخفيضات كبيرة في الإنفاق. لا يوجد حل سحري سهل لهذه المعضلة.

يقدم هذا الكتاب الذي أعده مارك روبنسون في إدارة الإنفاق العام تحليلاً مقنعاً للدوافع الرئيسية الحديثة والمستقبلية للإنفاق الحكومي في الاقتصادات المتقدمة. ويمكن القول أن الكتاب هو جرس إنذار لصانعي السياسات، والذين يحتاجون إلى التفكير مبكراً في كيفية احتواء هذه التكاليف المتصاعدة وتمويلها بشكل استباقي. إنه يقدم عدداً من الاقتراحات، ولكنه يدعو أيضاً إلى مزيد من التفكير والتحليل بشأن المقايضات السياسية الصعبة للغاية التي تطرحها هذه الاتجاهات.

### • الكتاب: حكومة أكبر: مستقبل الإنفاق الحكومي في الاقتصادات المتقدمة

• المؤلف: Marc Robinson

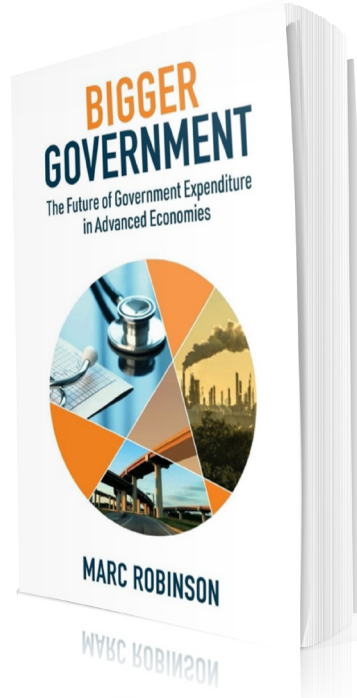
• الناشر: Arolla Press

• سنة النشر: 2020

• اللغة: الإنجليزية

• عدد الصفحات: 392 صفحة

\* كاتب عُمانى



الذي تعرض لضغوط شديدة في السنوات الأخيرة؛ فالبنية التحتية والتعليم والدفاع هي أمثلة أخرى على المجالات التي كانت أيضاً تحت ضغط كبير. أدى انخفاض مستويات الإنفاق الحكومي والصيانة إلى عجز متزايد في البنية التحتية. كان الضغط على الإنفاق العام ملموساً. لكن ما سبب ذلك؟ بالنسبة للكثيرين، الإجابة بسيطة: سياسة التقشف المطبقة في أعقاب الأزمة المالية العالمية في 2007-2008. يعتقد الكثيرون أن الحكومات قد خفضت على مدى العقد الماضي إجمالي الإنفاق بشكل كبير من أجل تقليل عجز ميزانياتها، وأن هذا هو ما أدى إلى الضغط الشديد على المستشفيات العامة والخدمات الحيوية الأخرى.

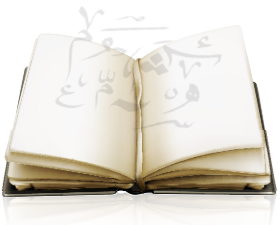
إن النظر إلى إحصاءات الإنفاق العام بطريقة خاطئة يمكن أن يحجب هذه النقطة المهمة. إذا قمنا بمقارنة مستويات الإنفاق الحكومي في عام 2019 بمستويات 2010 أو 2012، فسوف نتوصل إلى انطباع بأن مستويات الإنفاق قد تم تخفيضها بشكل كبير بالفعل. لكن هذا سيكون مضللاً تماماً. ارتفع الإنفاق الحكومي بشكل كبير استجابة للأزمة المالية العالمية، ولكن في شكل زيادات مؤقتة إلى حد كبير بنفس الطريقة التي حدثت بها زيادة كبيرة في الإنفاق المؤقت استجابة للوباء. وشمل ذلك زيادة النفقات على إعانات البطالة، والدعم المالي التقديري للشركات والإنفاق على مشاريع الاستثمار العام. استمر هذا الإنفاق المؤقت لعدة سنوات في أعقاب الأزمة المالية وكان في المجمل ضخماً جداً. ولكن إذا أردنا فهم اتجاهات الإنفاق الأساسية، فنحن بحاجة إلى وضع

والإعفاءات الضريبية للعاملين محدودى الدخل، وإعانات الأطفال وغيرها، هي التي ستقود الحكومات إلى إنفاق المزيد خلال العقود القادمة. وهم يعتبرون أن التغييرات في الطريقة التي يعمل بها الاقتصاد ستؤدي إلى زيادة الفقر مما سيؤدي بالضرورة إلى زيادة الإنفاق على الرعاية الاجتماعية. من جهة أخرى يعترض المؤلف على هذا التفسير، حيث يزعم أنه لا يوجد سبب مقنع للاعتقاد بأن الفقر سيتجه نحو الأعلى في العقود القادمة. ويشير إلى أن التغييرات في السياسة، وليس القوى الخارجية مثل التغييرات في الاقتصاد، هي التي تحدد ما إذا كان الإنفاق على دعم الدخل يزيد أو ينخفض في بلدان معينة على المدى الطويل.

يعطي المؤلف عدداً من الأسباب لزعمه، أولاً، احتمالية البطالة الجماعية الناجمة عن التكنولوجيا ليست أكثر من مجرد تبع، وينتقد من يتطرق لذلك ويرى وظيفة تلك الكتب والمنشورات في تصوير أن المستقبل سيكون بائساً ومخيفاً من المفترض أن البشرية تواجهه. ثانياً، الافتراض القائل بوجود عدد متزايد من العمال الذين يحتاجون إلى المزيد من دعم الدخل من الدولة هو مجرد أسطورة حسب وصف المؤلف. يرى روبنسون أن هذا التفسير لا يستند على أدلة إحصائية، وإنما هناك مجرد جيش صغير من النقاد وعلماء الاجتماع الذين يزعمون أن الهشاشة منتشرة في كل مكان وتتنمو بسرعة في الاقتصادات الرأسمالية المتقدمة.

لاريب أن الاقتصاد العالمي يتجه نحو ركود هائج. وسيؤدي هذا حتماً إلى زيادة كبيرة في مستوى الفقر وعدم الاستقرار. لكن من الضروري التمييز بين التغييرات الدورية في سوق العمل والاتجاهات طويلة الأجل. ساءت الأمور في أعقاب الأزمة المالية العالمية قبل عقد من الزمان، ولكن الأسواق تعافت في النهاية. سيحدث نفس الشيء هذه المرة، حتى لو استغرق التعافي ما يصل إلى خمس سنوات. ويؤكد المؤلف أن تركيز الكتاب لا ينصب على الخيارات السياسية والفلسفية، بل على القوى الاقتصادية والاجتماعية الأساسية التي ستؤثر على الإنفاق الحكومي على مدى العقود الثلاثة القادمة.

في موضوع آخر، تطرق روبنسون للتقشف. تعرض العديد من المستشفيات العامة في عدد من الدول المتقدمة لضغوط شديدة حتى قبل انتشار الوباء، من حيث انتظار المرضى لساعات في الممرات، ومعاونة الطاقم الطبي من الإجهاد المستمر، ونقص الإمدادات. الرعاية الصحية ليست المجال الوحيد للإنفاق العام



## هل يستطيع العلم أن يفسر كل شيء؟ جون سي. لينكس

عبدالله المحروقي \*

في الوقت الذي يسيطر فيه التيار المادي على المشهد العلمي، ويتم فيه إقصاء كل النظريات والفرضيات التي تشير من بعيد أو من قريب إلى وجود الخالق، برز عالم وفيلسوف بريطاني يدعى -جون سي. لينكس John C. Lennox-، كعالم مدافع عن الإيمان بوجود الخالق بشكل عام، ومدافع عن العقيدة النصرانية بشكل خاص. ولد جون لينكس في إيرلندا الشمالية في عام 1943م، لأبوين نصرانيين. حصل لينكس على دكتوراه الفلسفة في الرياضيات من جامعة كامبريدج عام 1970م، وعمل كبروفيسور للرياضيات في جامعة أكسفورد. وفي عام 2019م، صدر كتاب للبروفيسور لينكس بعنوان: «هل يستطيع العلم أن يفسر كل شيء؟» -Can Science Explain Everything?« ناقش فيه النظرة المادية القائلة بأن العلوم الطبيعية هي المصدر الأوحده للمعرفة، أو ما بات يعرف بـ«العلموية-Scientism».

اشتهر بمناظراته لعدد من العلماء المُلحدين، بما فيهم الملاحدة الجدد؛ ريتشارد دوكنز وكريستوفر هتشنز. كما اشتهر بقوة بيانه للحجج المنطقية والفلسفية.

علمي. انصدم لينكس بالإجابة وجلس في كرسيه مشلولاً دون حراك. تفكّر لينكس في هذا الموقف، وتساءل: ماذا لو كان الموقف معكوساً، وكنت أنا الملحد والمجموعة التي حولي (البروفيسور والطلاب) من النصراري، يحاولون أن يقنعوني بأن أن تراجع عن الإلحاد؟ إذاً لانتشر صدى ذلك في كل أرجاء الجامعة ولانتهى الأمر بإجراءات تأديبية للبروفيسور ومن معه من الطلاب! إنه الجانب المظلم في الأكاديمية حسب وصف لينكس. ثم استمر في إجابته عن السؤال الذي طرحه سابقاً: هل بالإمكان أن تكون عالماً وتكون مؤمناً في نفس الوقت؟

يجيب لينكس بإحصائية مفادها أن 60% من الحاصلين على جائزة نوبل من عام 1901م إلى 2000م هم من النصراري. فلو كان لا يمكن أن يجتمع العلم مع الإيمان لما حصل هذا العدد من النصراري على جائزة نوبل. وذكر أن رواد العلم الحديث من أمثال: جاليليو، وكبلر، وباسكال، ونيوتن وماكسويل كانوا جميعاً مؤمنين مقتنعين بوجود الخالق. بل إن الإيمان بوجود خالق كان من المحركات التي جعلت الناس يتجهون للعلم ودراسة الطبيعة حسب بعض مؤرخي العلوم مثل بيتر هاريسون. واقتبس المؤلف عبارة لسي. أس. لويس: إن الناس اتجهوا للعلم ودراسة الكون لأنهم افترضوا بأن هناك قوانين في الطبيعة، وبما أن هناك قوانين في الطبيعة فلا بد من وجود خالق سن هذه القوانين. وقال جاليليو: «إن قوانين الطبيعة كتبت بيد الله بلغة الرياضيات».

غاز الطبخ أو أن تقول له ببساطة إن الماء يغلي لأنك اشتبهت كأساً من الشاي. يطلق أرسطو على التفسير الأول مصطلح السبب المادي، والتفسير الثاني مصطلح السبب النهائي، وكلاهما منطقيان. هل بإمكانك أن تكون عالماً وفي الوقت نفسه مؤمناً بوجود الخالق؟

تطرق المؤلف إلى السؤال الشائع في المجتمع الغربي، السؤال الذي يفترض أن هناك تناقضا وصراعا بين العلم والإيمان: هل يمكنك أن تكون عالماً وتكون مؤمناً بوجود الخالق؟ وفي إجابته عن هذا السؤال ذكر قصته إبان دراسته في جامعة كامبريدج، حيث كان مع مجموعة من زملائه حول مائدة العشاء ومعهم عالم كبير من الحائزين لجائزة نوبل. أراد لينكس أن يستفيد من وجود ذلك العالم الكبير معهم في هذه المناسبة، فطرح عليه السؤال التالي: كيف أثر العلم في نظرتك للعالم؟ كان لينكس يريد من سؤاله أن يعلم إن كان الرجل العالم قد توصل إلى معرفة الخالق عن طريق العلم، ولكنه لم يصرح بهذا الغرض. فهم العالم السؤال والغرض منه لكن بدا عليه أنه لم يكن مسروراً بالسؤال؛ فلم يجب عنه. وبعد انتهائهم من الوجبة، دعاه ذلك العالم هو وبعض زملائه فسأله: هل تريد منصباً علمياً يا لينكس؟ فأجاب لينكس: نعم. قال له العالم: إذاً عليك أن تتخلى عن هذا الإيمان الطفولي بالخالق، وإذا لم تفعل فإن ذلك سيُعرقل قدراتك الفكرية، وسوف يتفوق عليك زملاؤك، وحينها لن تحصل على منصب

نشأة جون لينكس

تحدث البروفيسور لينكس في بداية الكتاب عن نشأته في إيرلندا الشمالية، التي عرفت بالصراعات الطائفية بين البروتستانت والكاثوليك، وذكر أن والديه لم يكونا طائفيين، وسمحا له -بخلاف الشائع في إيرلندا الشمالية- بالتفكير والاطلاع على وجهات النظر المختلفة. وقد انعكس ذلك عليه؛ فأصبح متسامحاً مع مخالفه من أصحاب وجهات النظر الأخرى. كما أنه كان على قدر كبير من التفهم للأسباب التي جعلت مخالفه يتبنون أفكاراً مختلفة عن أفكاره وعقيدته النصرانية.

العلموية

العلموية هي الادعاء القائل بأن العلوم التجريبية هي الطريق الأوحده لمعرفة الحقيقة. وحسب جون لينكس، فإن العلموية تختزل الوجود في الكيمياء والفيزياء. وهي اتجاه يتبناه الكثير من العلماء الماديين أمثال بول ديفس، وستيفن هوكينج. يرى المؤلف أن نتائج العلم التجريبي ليست يقينية، بل هي نتائج محتملة للخطأ. وإن كان العلم التجريبي هو المصدر الوحيد للمعرفة، فعلينا أن نغلق أقسام الاقتصاد والتاريخ والفضول في جميع المدارس والجامعات؛ إذ إن هذه العلوم الأخيرة لا تعد علوماً تجريبية.

يرى المؤلف أن التفسير العلمي ليس هو التفسير المنطقي الوحيد للحوادث، على سبيل المثال: لو سألتك شخص عن سبب غليان الماء، فيمكنك أن تجيبه بأن الماء يغلي بفعل الطاقة الحرارية الناجمة عن لهب



تعرض في أكثر من فصلين للعقيدة النصرانية، وكونها قابلة للاختبار، وأن التصور الذي تحمله عن الكون هو الذي مهّد الطريق للعلوم. وقد خرج عن المؤلف في تبرير وجود الشرور والألم في حياة البشر، بأن زعم أن الإله -حسب عقيدته- شاركنا الألم حينما صُلب تضحية بنفسه من أجل تكفير خطايا البشر. وتهاقت هذا التفسير واضح وضوح الشمس، لأنّ إلهاً يصلبه الناس ويغلب على أمره ليس إلهاً كاملاً، وهذا ما يتنافى مع ما يجب أن يتصف به واجب الوجود من القدرة المطلقة والقوة القاهرة.

ولخص المؤلف أسباب إلحاد العلماء في التصور الخاطئ عن الإله كتفسير غير مادي للظواهر الطبيعية غير المفسرة، وكذلك بسبب النظرة العلموية التي تختزل المعرفة في التجربة، ولا تعترف بالأدلة العقلية والأدلة التاريخية كمصادر للمعرفة وتفسيرات لمظاهر التصميم والإعجاز في الكون. ولقد أجاد المؤلف في جداله عن كون القوانين الطبيعية ليس في مقدورها خلق الكون من عدم، وقصارى ما تملك هو وصف الظواهر الطبيعية والتنبؤ بالظواهر الطبيعية. ومقارنة كتابه هذا بالكتب التي تبحث في الموضوعات المشابهة تنبئنا عن قدرة فذة للكاتب في تبسيط الحجج، وتقديمها بشكل واضح بعيد عن الغموض.

وأخيراً، قد يتبادر إلى الذهن عند قراءة عنوان الكتاب أن المؤلف سيطيل في كتابه بذكر أمثلة على ظواهر لا يستطيع العلم التجريبي أن يقدم تفسيراً لها. إلا أن الموضوع الأبرز في الكتاب هو تصحيح النظرة إلى الإله وبيان انحياز كثير من العلماء للنظرة المادية للكون.

• اسم الكتاب باللغة الإنجليزية: Can Science Explain Every Thing?

• اسم المؤلف: جون سي. لينكس John C. Lennox

• عدد الصفحات: 128 صفحة

• سنة النشر: 2019م

• الناشر: The Good Book Company

\* كاتب عُمانى



من لا شيء مع أن قانون الجاذبية يعتبر شيئاً سابقاً على الوجود؟! وهذا تناقض صريح.

المغالطة الثانية: القوانين لا تخلق يقول القانون الحسابي بأنه إن أضفت الرقم ١ إلى الرقم ١ فإن المجموع يساوي ٢، هل وجود هذا القانون كفيل بخلق دولارين في جيب من يتفوه به؟ بالطبع لا؛ فالقوانين كما تقدم واصفة للحال، ولا تخلق حالاً من عدم. وعند الحديث عن كيفية عمل محرك السيارة، بالإمكان أن نتحدث عن عملية الاحتراق الداخلي وكذلك بإمكاننا أن نتحدث عن هنري فورد. كل من التفسيرين مكمل للآخر ولا يلغي أحدهما الآخر؛ فكون المحرك يعمل بطريقة الاحتراق الداخلي لا يلغي حقيقة أن هنري فورد هو من اخترع محرك السيارة. وكذلك بالنسبة للكون، فإن وجود قوانين طبيعية لا يلغي وجود الله. فكما تقدم هناك سبب مادي وسبب نهائي حسب اصطلاح أرسطو. ثم يختم لينكس هذه الفكرة بتعليق طريف: «لو كان أرسطو حياً لاستغرب من عدم مقدرة البعض على التفريق بين الأمرين».

خلاصة القول: إن الكتاب الذي بين أيدينا يحاول صد موجة تأليه العلم، وذلك بأسلوب سلس وحجج مقنعة. يرى المؤلف بطلان العلموية، وأن العلم التجريبي ليس بمقدوره تفسير كل شيء. كما أن التفسير العلمي قد لا يكون التفسير الوحيد للظواهر. كما أنه كتاب يبشر بالنصرانية؛ فقد

الفرق بين العلماء المؤمنين والعلماء الملحدين ويتضح من السابق، أن الله في نظر هؤلاء العلماء المؤمنين هو خالق قوانين الطبيعة، وليس هو آلهة الإغريق أو إله الفجوات الذي تُفسّر به كل ظاهرة لا يُعلم ما هو سببها. واختلاف النظرة إلى الله وإلى الكون هو أحد أسباب الافتراق بين العلماء المؤمنين والعلماء الملحدين كما يقرر ذلك البروفيسور لينكس. فعلى سبيل المثال: السير إسحاق نيوتن والفيزيائي الشهير ستيفن هوكينج كلاهما درس قانون الجاذبية، ولكن قانون الجاذبية بالنسبة لهوكينج كان سبباً في عدم إيمانه بالخالق، بينما كان قانون الجاذبية دليلاً على ذكاء الخالق حسب نيوتن. قد يعتقد البعض أن التطور في العلم بين الزمن الذي عاش فيه نيوتن والزمن الذي عاش فيه هوكينج -والذي يقدر بـ ٣٠٠ عام-، هو سبب عدم إيمان هوكينج. يبين البروفيسور لينكس أن هذا الاعتقاد ليس صحيحاً؛ فقانون الجاذبية يصف لنا كيف تعمل الجاذبية ولا يخلق الجاذبية ولا يخبرنا عن ماهيتها. وكذلك هي كل قوانين الطبيعة؛ قصارى ما تفعل هو أن تصف وتتوقع ما يجري وما سوف يجري في الكون، ولا تخلق الكون بمفردها. بالنسبة لآينشتاين، إن مقدرتنا على وضع قوانين الطبيعة في قوالب رياضية يشير إلى أن هناك روحاً وراء الكون لها وجود قبل وجود الإنسان.

ولكن لماذا لم يتوصل هوكينج لمعرفة الخالق عن طريق قانون الجاذبية؟ وضّح البروفيسور لينكس المغالطة والتناقض اللذين وقع فيهما ستيفن هوكينج في عبارته في كتابه التصميم العظيم: «طالما أنه يوجد قانون كقانون الجاذبية، فإن الكون يستطيع وسيقوم بخلق نفسه من لا شيء!»

تبدو العبارة وكأنها عبارة علمية، وقائلها عالم كبير، ولكن العبارة ليست علمية، بل إنها ليست منطقية أصلاً. وتتضمن المغالطات التالية:

المغالطة الأولى: التناقض الذاتي يعيد لينكس صياغة عبارة هوكينج على هذا النحو: طالما أنه يوجد قانون كقانون الجاذبية (وهو شيء)، فإن الكون يستطيع وسيقوم بخلق نفسه من لا شيء! فقانون الجاذبية شيء، فكيف إذا سيخلق الكون نفسه

# إصدارات عالمية جديدة

آخر الإصدارات في اللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)

الكتاب: نهاية الريادة الأمريكية؟

المؤلف: برتران بادي، ودومينيك فيدال

الناشر: دار لاديكوفيرت، باريس، فرنسا

تاريخ النشر: 2020

عدد الصفحات: 224 صفحة

اللغة الفرنسية



يقدم برتراند بادي، ودومينيك فيدال، دراسة مهمة عن التحولات العالمية الجيوسياسية والاقتصادية، يضعان في مركزها مكانة الولايات المتحدة وفق دوامة التغييرات السريعة التي يعرفها العالم.

وفي العام 1945، بدت الولايات المتحدة وكأنها دولة لا تهزم. بما أنها الحائزة الحصرية للسلاح الذري حتى عام 1949، وإبانها بدت أنها مسيطرة تمامًا على العالم. من خلال خطة مارشال ثم إنشاء منظمة حلف الشمال الأطلسي (الناتو)، كما أنها هيمنت على ربع التجارة العالمية وتنتج نصف ما يستهلكه.

لكنّ ثمة تناقضًا كبيرًا مع الوضع الحالي. صحيح في هذه الأثناء، تنوعت سجلات القوة، وفقدت التدخلات العسكرية فعاليتها، وأدت العولمة إلى طمس المسارات بشكل قاطع، وأقامت علاقات ترابط غير مسبوق. في حوالي سبعين عامًا، انتقلنا من نظام شبه مهيم إلى نظام قطبي، مجزأً بفعل ديناميكية قومية مهمة، خاصة منذ انتخاب دونالد ترامب.

بعد استعادة تاريخ الهيمنة الأمريكية من القرن التاسع عشر حتى يومنا هذا، يقيس المؤلفان نطاقها وعيوبها المحتملة في المجالات العسكرية والسياسية والدبلوماسية والتجارية والاقتصادية والعلمية والثقافية. وأخيرًا، ينجزان تحليلًا لعلاقات واشنطن مع بكين وموسكو وبروكسل والرياض وطهران... إلخ. أو موقعها في مواجهة تحدي المناخ، لهذا يشككان في القوة الحقيقية للولايات المتحدة، في عالم معقد ويتغير بسرعة مذهلة.

الكتاب: إيفان إيليش: الرجل الذي

حرر المستقبل

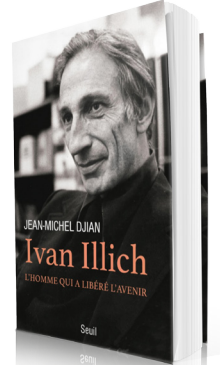
المؤلف: جان ميشيل دجيان

الناشر: دار سوي. باريس

تاريخ النشر: 2020

عدد الصفحات: 240 صفحة

اللغة الفرنسية



لا ريب أن أفكار إيفان إيليش، تكتسب أهمية جديدة في هذه الأوقات العصيبة، ويمكن العودة إلى التحذيرين المهيبيين في العام 1970، واللذين أطلقهما لفضح السباق المجنون الذي يقود البشرية نحو الأسوأ: تقرير ميدوز عن التدهور الخارجي للكوكب، وتحذير إيفان إيليش الذي يدين التدهور الداخلي لحضارتنا.

وفي سبعينيات القرن الماضي، عبّر عن أفكار جديدة حول المدرسة، والمستشفى، والمواصلات، لتحذيرنا من آثارها المضادة، والتي تحولت فعلا إلى مشاكل معاصرة. وقد ظهرت أكثر وأكثر حضورا وبينما وجد المجتمع الصناعي والاستهلاكي إيقاعه، كانت هناك حاجة إلى بعض الجرأة لمنع الآثار الضارة للنمو واستغلال الكوكب. سنتذكر أيضًا دفاعه القوي عن مبدأ "التعايش"، الذي لم يستخدم كثيرًا في ذلك الوقت. لذلك من العدل استعادة أعماله وحياته في سيرة ذاتية تضم تفاصيل ونصوصا غير منشورة لإيفان إيليش. من أجل التفكير في مسار الرجل وفكره وإعطاء الأولوية للأطروحات التي تتجاوز الحدود الضيقة، لتصل إلى آفاق إنسانية عالمية.

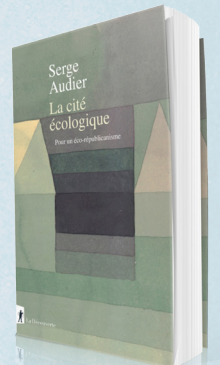
الكتاب: المدينة البيئية

المؤلف: سيرج أوديي

الناشر: دار لاديكوفيرت، باريس

تاريخ النشر: 2020

عدد الصفحات: 752 صفحة - اللغة الفرنسية



يأتي كتاب الباحث والأكاديمي سيرج أوديي -الحاصل على جائزة مؤسسة البيئة السياسية -2018 في خضم الأزمة البيئية التي نمر بها، ويعتبر البعد السياسي مشكلة وحلا في الوقت نفسه؛ مشكلة لأن أفكارنا ومؤسساتنا ليست على مستوى التحديات الحالية. الحل: لن نغتنم القوة المعنوية ولا القوة التقنية، بسبب الافتقار إلى تغيير طرق التصرف المشترك في الشؤون المشتركة.

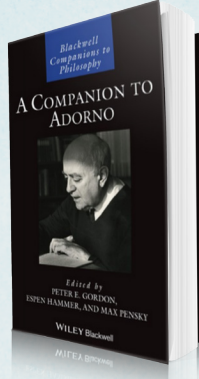
ويهدف هذا الكتاب إلى المساهمة في تجديد السياسة البيئية، ميرزا أننا لا نبدأ من لا شيء: لدينا تراث نظري وعملي لم يتوقف، منذ العصور القديمة، من البحث عن طرق تخدم "الصالح العام"، و"قوة الجميع" ساهمت باستكشاف سبل التعبير عن مطالب الحرية والمساواة والتضامن. من الضروري تحديثها، لأن من الواضح أن القضية البيئية هي أيضًا قضية اجتماعية وديمقراطية.

إنّ خلق حياة اجتماعية بيئية جديدة رهان عزيز المنال لابد له من إستراتيجية تمتد على نطاق غير مسبوق، في وقت يمتد فيه أفق المسؤولية في المكان والزمان؛ حيث نعيد التعلم أن عالمنا المشترك لا يتكون فقط من "البشر" بل من منظومة الكائنات والعناصر المندمجة في المدينة البيئية يكون إصلاح الحياة الديمقراطية والاقتصادية له جدوى وغايات سامية.

# إصدارات عالمية جديدة

آخر الإصدارات الفلسفية في اللغة الإنجليزية (محمد الشيخ)

الكتاب: المؤنس في فلسفة أدورنو  
اسم المؤلف: كتاب جماعي تحت  
إشراف بيتر جوردون وإسبين هامر  
وماكس بينسي  
دار النشر: ويلي بلاكويل  
سنة النشر: 2020



اختلف لغير من المتخصصين في فلسفة الفيلسوف الألماني وأحد مؤسسي مدرسة فرانكفورت الشهيرة ثيودور لودفيج فيزنجرند أدورنو، وذلك بغية تقديم فلسفة الرجل في هذا الكتاب الحافل. وقد أبرزوا الوجوه المتعددة لفلسفة أدورنو: الجماليات، الفلسفة الاجتماعية، الفلسفة الأخلاقية، الفلسفة التواصلية، فلسفة التقنية... وهي الأوجه التي تدور في مختلف مناحيها على تناقضات المجتمع الحديث وعلى صلة ذلك بمعاناة الإنسان وبالوضع البشري. إذ يستكشف هذا الكتاب الأسس الفكرية لفلسفة أدورنو، ونقوده للثقافة الرأسمالية الغربية المعاصرة، وتصوراته للأخلاقيات والسياسيات، وتحليله للسيطرة والهيمنة، واستبصاراته حول الصناعة الثقافية في عهد الرأسمالية المتأخرة.

عنوان الكتاب: مدخل إلى الفلسفة  
الأمريكية اللاتينية  
اسم المؤلفة: سوزانا نوتشيتيلي  
دار النشر: مطابع كامبريدج الجامعية  
سنة النشر: 2020



ألا ما أحوجنا إلى تنوع مصادر قراءتنا الفلسفية! لقد أتى علينا حين من الدهر لم نكن نطلع فيه إلا على الفلسفة الغربية، وكانت محاولات الإطلاع على الفلسفات غير الغربية (الصينية، اليابانية، الهندية...) محاولات محتشمة. والحال أنه يأتي هذا الكتاب لسد فراغ في مكتبتنا الفلسفية خاص بالفلسفة بأمريكا اللاتينية. ويوفر لنا هذا المدخل نظرة إجمالية وسهلة المأخذ عن أهم الموضوعات الفلسفية التي تشغل بها الفلسفة الأمريكية اللاتينية. ولا يقتصر هو فحسب على استكشاف موضوعات الفلسفة الغربية التي استأنف فيها القول فلاسفة أمريكا اللاتينية، وإنما يتجاوز ذلك كله إلى تسمية المذاهب التي استحدثها هؤلاء الفلاسفة خارج الإطار الضيق للفلسفة المهيمنة.

عنوان الكتاب: هيجل ومدرسة فرانكفورت  
اسم المؤلف: كتاب جماعي تحت إشراف بول جيلادي  
دار النشر: راوتليدج  
سنة النشر: 2020



هذا كتاب مداره على الصلة القائمة بين أحد أهم منبعي الفلسفة المعاصرة: هيجل الفيلسوف الألماني الكبير ومدرسة فرانكفورت الشهيرة. والحال أن ما يجمع مدرسة فرانكفورت بهيجل أمور عظيمة جمة: منها الجدل، ومنها تحليل ظاهرة الإغتراب والتشوي، ومنها مناقشة ظاهرة الحرية والتحرر... ويقف الكتاب وقفة مليّة على هذه العلاقة الشديدة التعقيد. وقد انقسم إلى خمسة أقسام: يركز القسم الأول على الجدل وتجلياته. ويدور القسم الثاني على الحياة الأخلاقية الجماعية وعلى التفاعل بين الذات (التذات). ويتناول القسم الثالث من الكتاب الخطاب المنطقي والميتافيزيقي الدائر على التحرر. ويعالج القسم الرابع الحرية الاجتماعية وصلتها بالتحرر. ويتحدث القسم الأخير عن الفلسفة الكلاسيكية والمعاصرة في صلتها بهيجل وبمدرسة فرانكفورت، كما يتحدث عن النماذج الديمقراطية الجذرية وعن المؤسسات الاقتصادية الحديثة والمعاصرة في مراسمها ووظائفها.

# تصفح النسخة الرقمية ... مجلة التفاهم

عنوان العدد: الوضع العالمي والرؤية الأخلاقية

عبدالرحمن السالمي

## المحاور

- الرؤية القرآنية لصالح الإنسان والعالم .. أحمد الزعبي
- مفهوم « العصر المحوري» عند كارل ياسبرز .. محمد الشيخ
- الرؤى الإغريقية لصالح الإنساني .. مصطفى النشار
- أوروبا العصور الوسطى: القانون الطبيعي والكنيسة والإقطاع .. حاتم الطحاوي
- الحربُ والدولةُ القومية وتكوّن .. فتحي المسكيني
- ميثاق الأمم المتحدة وإعلان حقوق الإنسان ونظام العالم المعاصر.. عبدالناصر السيد محمد الجهاني
- النظام الدولي الجديد من منظور الفلسفة الاجتماعية .. الزواوي بغوره
- التضامن الإنساني في الأزمات والبدائل الضرورية للبقاء.. محمد بالزاشد
- هويّات مشقوقة : عن مسارات القيم في العالم المعاصر.. عادل حدجامي
- إصلاح النظام العالمي : استراتيجيات القوة واستراتيجية المؤتلف الإنساني.. رضوان السيد
- المؤتلف الإنساني وتجديد نظام العالم .. عز الدين عناية

## دراسات

- التعليم والأخلاق في الاسلام - سيباستيان غونتر
- المقاربات القانونية الغربية المعاصرة: بين الشرع الإسلامي والقانون الدولي - محمد الشيخ
- مركزية الإخلاق في المنظومة الإسلامية انطلاقاً من السنة النبوية - عبدالله الجباري

## وجهات نظر

- علم الكلام الجديد كآلية من آليات إصلاح وتجديد الخطا الديني - سعيد عبيدي
- الأقليات المسلمة في الغرب وشروط الاندماج - محمد الدرديري

## آفاق

- العلوم الاجتماعية والقرآن .. ديل إكلمان
- مداخلات أولية حول الكتابات المؤرخة للتفسير باللغة العربية: مقارنة مبنية على علم تاريخ الكتاب .. وليد صالح

## الإسلام والعالم

- عالم العرب والعرب في العالم .. إعداد: رضوان السيد



النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها

مجلة التفاهم هاتف: 24644031 - 24644032 +968 , فاكس: +968 24605799

البريد الإلكتروني: www.alfahom.net - al.tafahom@gmail.com - tasamoh@gmail.com